مجلة الإسلام والتصوف

اقرأ فى هذا العدد للاساتذة

الدكتور محمد مصطفى حلمى	عبد اللطيف محمد السبكى
الدكتور عبد الحليم محمود	منصور رجب
الدكتور محمد غلاب	حسنى طه شكيبان
الدكتور محمد مظهر سعيد	ابراهيم سليمان الكواز
الدكتور مصطفى كمال وصفى	محمود محمد عماره
الدكتور محمد جمال الفندى	محمد عيد الشافعى
الدكتور ابراهيم مصطفى عبده	عبد المنصف محمود عبد الفتاح
الدكتور عبد الوهاب خلاف	محمد محمود علوان

طه عبد الباقى سرور

مع الابواب الثابتة : ندوة الشهر : أخبار صوفية

الطريقة : مناهج التصوف

العدد العاشر السنة الأولى

الثمن ٥ مـ

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

مجلة الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

الاشتراك
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العدد العاشر أول مارس سنة ١٩٥٩ م الموافق ٢١ شعبان سنة ١٣٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الثورة الروحية

لسماحة الأستاذ السيد محمد محمود علوان

« .. عايزين نبنى أيضا بجانب الثورة السياسية ، والثورة الاجتماعية ، الثورة الروحية ، والثورة المعنوية ، اللى هى من مستلزماتنا ، ومن مستلزمات طبيعتنا كعرب .. »

جمال عبد الناصر
فى خطابه فى عيد الوحدة

كل كلمة من كلمات زعيمنا الملهم ، الرئيس جمال عبد الناصر ، تصنع تاريخا ، وتحدد هدفا ، وترسم أفقا ، لحياتنا ولغدنا .

وبتلك الكلمات التى تشع بالنور وبالفهم ، وتتسم بالاصالة والعمق ، وضع زعيمنا خطا عريضا مبينا فى كتاب ثورتنا ونهضتنا ، وفتح مجالا وبابا لجهادنا المتطور ، نحو التحرر والقوة والكمال .

فالثورة البانية الصانعة للتاريخ ، هى الثورة التى لها هدف اجتماعى ، وعمق روحى ، وفلسفة هادفة .

ولقد مشت ثورتنا السياسية الى الأمام ، متفوقة فخورة منتصرة ، بخطوها الساحق الجبار ، فتحررت أرضنا ، وانطلقت قوانا من قيودها ، وبنينا دروعنا وجيشنا ، وصنعنا سياستنا وأهدافنا ، حتى غدونا ثقلا دوليا ، حرا قويا ، له وزنه وقدره وأثره فى الأحداث العالمية .

ونضجت ثورتنا الاجتماعية ، وأتت أكلها يانعة رائعة ، فتحطم الاحتكار والاستغلال ، وتمزقت أستار البغى والطغيان ، ونفضنا عن كواهلنا غبار السنين السود وأثقالها وأوزارها ، وأخذت الكرامة الفردية ، والعزة الشخصية ، تنضج وتتبلور وتبرز ، وأخذت الديمقراطية الاشتراكية العادلة ، تمشى الى حياتنا وتفكيرنا وقوانيننا واقتصادنا ، وخطونا خطوات حاسمة فى طريقنا الى العدالة الاجتماعية ، والتكافل الطبقى .

وآن بعد ذلك لفجر ثورتنا الروحية أن يشرق ، وأن يضىء ، وأن يؤتى أكله ، ايمانا وخلقا ، وأدبا وفضلا ، وطهارة وهدى ومثلا عليا ، تأخذ سبيلها الى عقولنا وقلوبنا .

فالثورة الروحية هى الينبوع الذى يمد الثورتين السياسية والاجتماعية، بالعمق والاصالة ، وبالحياة والبقاء .

ولقد لمس زعيمنا الموفق ، بالهامه وايمانه ، أن للأمة العربية خصائص تاريخية ، هى قوام وجودها ، وسر حضارتها ، وأساس قوتها وعزتها ، حينما قال : « ان الحياة الروحية ، والحياة المعنوية هى من مستلزماتنا ومن مستلزمات طبيعتنا كعرب » .

فالأمة العربية ، من الأمم البانية فى التاريخ ، انها الأمة التى اختيرت لحمل أعظم الرسالات السماوية ، واختصت بآخر كلمة ربانية تحمل الهدى والنور والخير والروح للعالمين .

وان النشاط العربى ، المعنوى والروحى ، عبر التاريخ ليشكل فى الحضارة الانسانية ، أروع جوانبها ، وأزكى مناهجها ، وأهدى سبلها .

والاشعاع الروحى المقدس الذى ينبثق من رحاب أمتنا العربية له صداه

وقدره ، فى مشارق الأرض ومغاربها .. وهو سر ما يتمتع به العنصر العربى من جاذبية ومن قوة ومن مكانة عالمية .

اننا الأمة التى ثارت على الوثنية العالمية ، وثارت على الأرستقراطية الاستبدادية ، وثارت على الانحلال والفجور والبغى فى أعتى عصوره وأظلم عهوده .

اننا الأمة التى قدمت للبشرية كافة ، زادا روحيا قويا بانيا ، زادا روحيا صنع أعدى الحضارات ، وكون خير أمة أخرجت للناس .

ان الثورة الروحية التى ينادى بها رئيسنا وزعيمنا الأكبر اليوم ، هى ثورة على الدعوات الانحلالية الهابطة ، والصيحات المادية الملحدة ، والغرائز الحيوانية المعربدة الجامحة ، هى ثورة على الجمود والضعف والتردد ، ثورة على الانهيار الخلقى والمعنوى ، ثورة على الجشع والاحتكار ، ثورة لاحياء أمجادنا ومفاخرنا وأخلاقنا ، وعزتنا النفسية ، وعظمتنا الايمانية ، ومثلنا الروحية المضيئة العالية .

ثورة لطهارة القلب والضمير والوجدان والجوارح ، طهارة ظاهرة وباطنة ثورة للكمال والتسامى ، والارتفاع فوق الشهوات والنزوات ، وتصعيد الأعمال والخواطر والنيات الى الله سبحانه .

ان الثورة الروحية ، تعنى انطلاق القوى الصوفية الهائلة ، انطلاق التيار الروحى الملهم فى أفق الحياة العربية ليملأها ، عزة وقوة ، وعفة وطهارة ، ونزاهة وكرامة ، وعزما وصدقا واخلاصا وايمانا ، وفدائية هادفة. وايجابية عملية بانية .

ان الاسلام فى صحيحه ثورة روحية بأدق ما فى هذه الكلمة من معانى ، ثورة لاعلاء كلمة الله ، واتمام مكارم الأخلاق ، واجلال الفضائل ، وتقديس الشرف والكرامة ، كرامة الفرد ، وكرامة الانسانية ، وكرامة العقيدة ، وكرامة الوطن .

ثورة ضد ذل النفس وخضوعها الا لله جل شأنه ، حتى أن دقيق الرياء يعتبر فى نظر الاسلام من الشرك الخفى .

ثورة ضد العبودية لأى قوة من قوى الدنيا ، ولأى شهوة من شهواتها ، ولهذا يقول رسولنا صلوات الله وسلامه عليه « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة » .

ولهذا اتجه الاستعمار أول ما اتجه ، الى تحطيم القوى الروحية فى الأمة العربية ، وافسادها واذلالها ، والانحراف بها الى غير أهدافها .

اننا لم نهن ، ولم نذل ، ولم نستعبد ، ولم نتخلى عن مكانتنا القيادية فى التاريخ ، الا يوم أن باعدنا بين وجودنا وحياتنا ، وبين عقائدنا وفضائلنا وآدابنا ، وقوانا الروحية ، وعزتنا الايمانية .

ثم جاءت ثورة ٢٣ يوليو التاريخية ، ثورة العروبة كلها ، ثورة الروح والايمان ، على الجحود والطغيان . جاءت لتصنع من جديد تاريخنا وحياتنا ، ولتطلق فى مسمع الدنيا كلمات البعث والحرية ، والكرامة الانسانية .

اننا اليوم نمشى فى طريقنا الصاعد الى الأوج المشرق ، الى الآمال الكبرى الى الهدف الاسمى ، الى اعادة الامة العربية العظمى الى مكانها الشامخ فى التاريخ ، والى رسالتها الاصيلة فى الحياة ، رسالة الروح والايمان .

لقد أطلق رئيسنا الملهم جمال عبد الناصر ، بتلك الكلمة العظيمة ، التى بشرنا فيها بقيام الثورة الروحية ، بجانب الثورة السياسية والاجتماعية ، أطلق فى أفق حياتنا شعاعا وتيارا ، وفتح أبوابا ، وأبرز آمالا كبارا ، فلنلبى النداء العظيم ، ولننهض برسالتنا فقد آن للقوى الروحية ، للقوى المعنوية ، للقوى الصوفية ، أن تنطلق وأن تثور وأن تصنع من جديد معجزة البعث العربى ، معجزة الرسالة التى حملها العرب للعالمين ، هدى وايمانا وسلاما .

وان رجال التصوف الاسلامى ، الذين حمـــلوا أمانة الدعوة الروحية وحافظوا عليها عبر التاريخ ، وأبقوا على شعلتها متقدة مشعة حية فى قلوب الجماهير العربية والاسلامية ، لهم اليوم أسعد الناس بصيحة الرئيس المؤمن الملهم ، وانهم ليعتبرون أن من واجبهم المقدس أن يكونوا طليعة الزحف الروحى ، والثورة الروحية ، البانية الهـــادية ، التى تساند الثورتين السياسية والاجتماعية ، وتعد لها القلوب والعقول والأفئدة ، المؤمنـــة القوية المجاهدة .

ولن يصنع التاريخ الا الايمان والروح ، والعقيدة التى تستمد عزتها من عزة الله ، وتستنزل النصر من هداه ورضاه ، والله يهدى الى الخير ويوفق الى سواء السبيل .

من وحى رمضان :

... عندى يطعمنى ويسقينى

للأستاذ طه عبد الباقى سرور

التصوف الاسلامى عندى ، هو عبادة لله على مشاهدة ، ومعرفة للحقائق على بصيرة ، وتذوق للمعانى بالروح والقلب والوجدان ، وحاسة فوق الحواس الخمس ، ترفرف وتحلق وترتاد آفاقا محجوبة عن العالمين ، حاسة يهبها الله لعباده الذين ارتضى واصطفى ، والذين سبقت لهم منه الحسنى .

هو تجربة حسية ومعنوية ، كتلك التجربة التى يصورها لنا ، حارثة الانصارى حينما سأله الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « وكيف أصبحت يا حارثة ؟ قال : أصبحت مؤمنا حقا ! فقال : يا حارثة : ان لكل حق حقيقة . فما حقيقة ايمانك ؟ .. فقال : يارسول الله ، عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى ، وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر الى عرش ربى بارزا ، والى أهل الجنة فى الجنة يتزاورون ، والى أهل النار فى النار يتعاوون ويبكون ، فقال صلوات الله عليه : عرفت فالزم ، عبد نور الله بالايمان قلبه » ..

انه النور الذى ينفسح به الصدر وينشرح ، وتتكشف به الحقائق وتتضح ، وانها المعرفة التى تجتاز حق اليقين ، الى عين اليقين ..

أو كما قال المربى الصوفى الشيخ يوسف النساج ، للامام الغزالى ، وهو يسلك به الطريق الصوفى الى الله : « ياأبا حامد هذه ألواحنا فى البداية ، بل ان صحبتنى ستكحل بصيرتك بالمد التأييد ، حتى ترى العرش ومن حوله ، ثم لا ترضى بذلك حتى تشاهد ما لا تدركه الابصار ، فتصفو من الاكدار طبيعتك ، وترقى على طور عقلك ، حتى تسمع الخطاب من الله تعالى كموسى : « انى أنا الله رب العالمين » .

وبتلك المعرفة المبصرة ، وبتلك العبادة المشاهدة . عاش المتصوفة حياتهم فى معية ربهم ومولاهم ..

وحول تلك المعية ، رفرفت أذواقهم ، ودندنت ألحانهم ، وانبثقت مواجيدهم ، وترقرقت معارفهم وعلومهم وآدابهم وسلوكهم ..

كان ورد سهل بن عبد الله التسترى ، الذى يردده صباح مساء ، ثلاث

كلمات : « الله معى ، الله ناظر الى ، الله شاهد على » .. وكان سهل يجتاز حروف هذه الكلمات الى حقائقها ومعانيها، فتشع بالنور جوارحه ، ويخفق بالخشوع قلبه ، وتتدفق الرهبة والمحبة والمراقبة فى حسه ووجدانه .. فلا يرى الا الله .. ومن كان هذا حاله ، غدت نبضاته وخفقاته ، وسبحاته وخواطره ، فى الأفق الاعلى ، وفى المعنى الاسمى ..

ويقول الشيخ الاكبر ، محيى الدين بن عربى : « دخلت الخلوة بورد سهل ففتح لى ، حتى رأيت من الاذواق والاسرار والمشاهد ، ما يضيق عنه نطاق التعبير » .

وكان الشاعر الصوفى العالمى ، محمد اقبال يقول : « سر حياتى كلمة علمنى اياها أبى فى طفولتى .. قال : يابنى . اقرأ القرآن وكأنه أنزل عليك » .

ويقول الامام الجنيد : « شرط قراءة القرآن عندنا أن نقرأ وكأن الله يستمع الينا ، أو أن نقرا وكأن الله يتلو على لساننا » .

وحينما سئل ذو النون المصرى عن الصوفية ؟ قال : « قوم آثروا الله عز وجل على كل شىء ، فآثرهم الله عز وجل على كل شىء » .

ومن هنا كان التصوف الاسلامى ، يمثل تصورا خاصا للحياة ، وذوقا خاصا فى تناول العبادة والايمان ، ووجها خاصا ، فى الاعمال والسلوك .. لأنه يقيم علاقة دائمة متصلة بالله ، وبرسوله ، علاقة روحية وجدانية تذاق وتدرك بالقلب والروح ، وتنبثق منها المقامات والاحوال ، كما تستمد منها المعارف والالهامات ، وتتلون بها المشاهد والصفات ..

انهم فى معية الله أبدا ، لأن الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون ، « وهو معكم أينما كنتم » وبالتالى هم أيضا فى معية رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

ومعية الرسول لدى المتصوفة ، ليست موقوتة بزمن ، ولا محدودة بوقت ، لانها مطلقة تبعا للرسالة الجامعة .

« محمد رسول الله والذين معه » ما صفتهم وما هى أعمالهم ؟ « تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » فكل من آمن برسول الله ، وعمل برسالته ، وأخلص فى طاعته .. واقتدى بهديه ، وفنى فى محبته ، فهو معه صلوات الله عليه ، سواء تقارب زمنه أو تباعد ، صحبه فى حياته ، أو صحبه فى سيرته وأعماله .

فمن استغرق فى منهج الرسول ورسالته فهو معه حسا ومعنى ، والعبرة بالشعور والاحساس ، وانفساحا ت القلب ، وانطلاقات الروح .

والاحساس بهذه المعية المحمدية ، والاحساس بالمعية الربانية ، هو جوهر التصوف ولبه ، وروحه وقلبه ..

والاحساس بهذه المعية ، هو سر هذا التسامى الصاعد ، والحياة الكاملة المثالية ، التى يعيشها رجال التصوف .

وهذه المعية ، هى ضمير الصوفى ، وهى قانونه ، وهى مقامه وحاله ، ونجواه وسره ، ومن هنا يقول الصوفى : انه قائم بالله ، وانه يسير بالله ، ويتحرك بالله ، ويجاهد فى الله ، ويستغرق بكليته فى الله ، استغراقا معنويا روحيا شعوريا ..

لقد عاش المتصوفة حياتهم فى الأفق الاعلى ، عاشوا عند ربهم ، ومع ربهم ، أو كما يقول نبينا الاعظم صلوات الله وسلامه عليه : « أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى » طعاما معنويا ، وشرابا ذوقيا .

ان هذا الشعور الصوفى ، وهذه المعية الذوقية الصوفية ، هى المثل الاعلى للصائم ، وهى الهدف المنشود من فريضة الصيام .

ولا يؤمن أحدكم كما يقول رسولنا الاعظم ، حتى يكون هواه ، تبعا لما جئت به » . « ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » . « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » . « ولمن خاف مقام ربه جنتان » . جنة فى الدنيا ، وجنة فى الاخرى .

والحياة الطيبة الكاملة ، وجنة الدنيا العالية ، هى حياة الصائم القائم ، الذاكر القانت ، المعلق قلبه بالله ورسوله ، المراقب لله ورسوله ..

لقد جاءت فريضة الصيام ، لترتفع بنا الى الافق الصوفى ، الى الافق المثالى ، انها نفحة من الله مباركة ، وهبة من الله زكية طيبة ، ونسمات من الرحمة سابقة شاملة ، وأنوار من القدس ساطعة مشرقة ، فمن مر به رمضان ولم يتذوقها ويحياها ، فقدصدق عليه قول رسول الله صلوات الله عليه : « رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له »

فليكن هوانا فى رمضان تبعا لما جاء به رسول الله ، ولتكن حياتنا فى رمضان أشبه ما تكون بحياة رسول الله ، ولتكن عبادتنا ، عبادة قلب وروح ووجدان وضمير وشعور ومراقبة ومشاهدة ، فقد جاء القرآن لينذر من كان حيا ، أى حياة القلب والضمير والحس : « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ، وما يتذكر الا من ينيب » .

وعن عبد الله بن مسعود رضوان الله عليه : « اطلب قلبك فى أربعة مواطن .. عند سماع القرآن ، وفى مجالس الذكر ، وفى أوقات الخلوة ، وفى أيام رمضان ، فان لم تجده فى هذه المواطن ، فسل الله أن يمن عليك بقلب ، فانه لا قلب لك » .

ان الهدف من فريضة الصيام ، أن يتذوق الصائم فى أيام معدودات ، حياة الابرار الاطهار ، الاصفياء المقربين ، حياة الملأ الاعلى ، حيث لا رفث ولا فسوق ولا جدال ، ولا معصية حسية أو معنوية ، باطنة أو ظاهرة ، من خائنة الاعين ، أو مما تضم الجوارح والصدور .

أما الامساك عن الطعام والشراب ، فانه أهون عند الله ، وعند المؤمنين الصادقين ، مما يهدف اليه شهر رمضان ، وفريضة الصيام ، انه الثوب والقشر ، أما الجوهر والسر ، فهو أدب النفس ، وتزكية الحس ، وطهارة القلب ، واشراق الروح ، وعمل الخير ، وبذل المعروف ، ومجاهدة الدنيا . والارتفاع فوق ما فيها من بريق واغراء ، وفتن وأهواء ، وأن يظل اللسان رطبا بذكر الله . والقلب خاشعا لله ، والجوارح فى عبادة وطاعة متصلة ، مشرقة ، تراقب مولاها وتناجيه ، وتعيش عنده ، وتقتات بأنواره ، وتشرب من عطاياه .. وتفنى فى رضوانه وهداه .

وكما علمنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » : « ورب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ، ورب قائم ليس حظه من قيامه الا السهر »

وصلوات الله على رسولنا اذ يقول : « ليس الصيام من الاكل والشرب ، وانما الصيام من اللغو والرفث ، فان سابك أحد أو جهل عليك فقل : انى صائم .. انى صائم »

انى صائم .. هذا هو الشعار المقدس للصائم ، لقد صام عن الدنيا التى تعرفها ، صام عن كل ما يشين حياة الملأ الاعلى ، صام لمولاه صياما روحيا قلبيا تعبديا زكيا نقيا ، ولهذا قال رسولنا صلوات الله عليه : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » وقال ربنا سبحانه وتعالى : « كل عمل ابن آدم له ، الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به » .

ان هدف الصيام هو التقوى : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » ، وهذه أولى درجات التقوى عند المتصوفة الذائقين

وفى الحديث القدسى عن الله سبحانه وتعالى : « ياعبادى انما هى أعمالكم

أحصيها لكم ، ثم أوفيكم اياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك ، فلا يلومن الا نفسه » .

وفى الصحيح : ان رجلا جاء الى رسول الله يشكو قسوة قلبه ، فقال له : امسح رأس اليتيم ، واطعم المسكين » ..

وعن زيد بن ثابت : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من كانت الدنيا همه ، فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة همه ، جمع الله له أمره ، وجعل غناه فى قلبه ، واتته الدنيا وهى راغمة » .

ومن وصايا جبريل لسيدنا محمد : « اعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس » .

وسئل الحسن البصرى : « لم كان المتهجدون أحسن الناس وجوها ؟ .. فقال : لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره » .

وكان أبو سليمان الدرانى يقول : « أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ، ولولا قيام الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا » ..

فلنجعل رمضان قياما بالليل ، وطاعة بالنهار ، طاعة مضيئة مشرقة .. رحيمة عادلة ، زكية طاهرة ، عامرة بنفس الرحمن وحبه ، وهداه ورضاه ..

فلتكن حياتنا ، حياة ربانية ، حياة صوفية ، تراقب الله ورسوله .. وتعيش مع الله ورسوله ، وتقتات من رضوان الله وهداه ، وتشرب من ريه وعطاياه .. مع المعية الربانية فى المراقبة والمشاهدة ، ومع المعية المحمدية ، فى المناجاة والطاعة .. وتلك بداية التصوف عند أصحاب الحس .. كما هى نهايته عند أصحاب الذوق ..

« طه عبد الباقى سرور »

صفحات ونفحات

بين الحب الالهى والحب النبوى

بقلم
الدكتور محمد مصطفى حلمى
أستاذ الفلسفة الاسلامية والتصوف بكلية الآداب بجامعة القاهرة

حب الهى يتخذ موضوعه من الذات العلية ، وصفاتها النورانية وتجلياتها الروحانية ، وحب نبوى يتخذ موضوعه من الحقيقة المحمدية ، والصورة الانسانية لصاحب هذه الحقيقة العلوية ، وخصائصه الروحية والنفسية والخلقية ، هذان هما الحبان اللذان تحدثت اليك عنهما فى المقال السابق ، وأبنت لك عن مبلغ خطرهما فى الحياة الروحية لارباب الاذواق والمواجيد من الصوفية ، ومقدار أثرهما فيما أنتج القوم من ثمرات قلوبهم الزكية . وأحب أن أظهرك فى هذا المقال على صلة أحد هذين الحبين بالاخر ، ومنزلة أحدهما من الاخر ، وكيف يستوعب أحدهما الاخر بحيث يصبح الحب الالهى هو المسيطر على قلب المحب ، والمتمكن من سريرته ، والمشرق على بصيرته ، وبحيث يندرج الحب النبوى وينطوى فى هذا الحب الالهى ، فيصبح حديث المحب حديثا قوامه حب الذات الالهية والحقيقة العلية ، وأما حب الحقيقة المحمدية ، والحضرة النبوية ، فلا يكاد يبين من حديث المحب ، وهو ان بان فانما يبين بعد لأى ، و من خلال رموز واشارات ، وكنايات ومجازات واستعارات ، يختلط فيها الحبان ويتشابه منها على القارىء الامران فلا يدرى أهو مع محب يصدر فيما ينثر من عباراته أو ينظم من أبياته عن حب الهى ، ويتغنى جمال الذات العلية وكمالها وجلالها ، وغير هذا كله من صفاتها التى لا تتعين برسم أو حد ، ولا تتقيد بشرط أو قيد ، أم هو مع محب يصدر عن حب للحقيقة المحمدية وما لها من صفات الجمال والكمال والجلال ولكن مع التعين الاول الذى هو أول تعين فاض من الذات الالهية ومنه فاضت الكائنات الكونية ، أم هو مع محب يصدر عن حب لمحمد الرسول عليه الصلاة والسلام ، الذى بعثه الله برسالة قوامها الحب والاخاء والمساواة والسلام ، ويتغنى ما لهذا الرسول الكريم من خلق عظيم ، ويشدو بما خصه الله به من مناقب ومعجزات ، وما لنبوته من منزلة بين النبوات ، وما لرسالته من امتياز على سائر الرسالات .

ولكن يتبين لنا موقف الصوفية من الحب النبوى بالقياس الى موقفهم من

الحب الالهى ، ومكان الحب النبوى من الحب الالهى فيمـــا خلفوا من آثار منظومة ومنثورة ، يحسن أن نضرب ببعضهم الامثال ، ونعرض لبعض ما روى عنهم من أخبار وما نسب اليهم من أقوال . ويكفى فى هذا الصـدد أن نقف عند اثنين من أعظم أئمتهم خطرا وأبعدهم أثرا فى تاريخ الحيـاة الروحية الاسلامية بصـــفة عامة ، وفى تاريخ الحب الالهى وتطـــوره فى االتصوف الاسلامى بصفة خاصة ، وأحد هذين الامامين هى الزاهدة العابدة العاشقة رابعة العدوية . وثانيهما هو سلطان العاشـــقين وأمام المحبين عمر بن الفارض ، فعلى يد رابعة بذرت لاول مرة فى تاريخ الحياة الروحية الاسلامية بذور الحب فى بستان القلب ، وعلى يد ابن الفارض نمت هـذه البذور وزكت ، وأينعت وأزهرت ، فكان منها أشهى الثمـــار ، وأزهى الأزهار .

والمتأمل فى حياة رابعة الروحية ، وفيما قدمت بين يدى نجواها ، وفيما وجدت فيه سلواها ، وفيما كانت تتخذ منه مؤنسا لوحشـــتها ومفرجا لكربتها ، وموصلا الى قربتها ، يلاحظ أنها قد سلكت طريق الحب النبيل ، وانصرفت عن كل ما عداه من ألوان الحب ، وأقبلت بكل جوارحها وجوانحها على محبوب واحد ، قد وقفت قلبها عليه ، ونذرت كلها له ، بحيث لم تعد تستشعر حبا الا له ، ولا تتخذ أنيسا الا منه ، وهذا المحبوب الوحيـــد عندها هو الله الذى لم تكن تحبه خوفا من ناره ، ولا طمعا فى جنته ، بل شوقا اليه وابتغاء لوجهه وكشفا للحجب حتى تستمتع بمشاهدة جماله الازلى : فهى وقد فرغت لله ، وفرغت قلبها وحبها عن كل ما سوى الله قد قضت حياتها الروحية هاتفة بحبها ، مسبحة بجمال محبوبها ، طامحة الى الاتصال به ، طامعة فى القرب منه ، وهى بحكم هذا كله قد ملأ محبوبها كل قلبها ، وامتلأ قلبها بحبه ، وليس لمحبوب آخر نصيب من هذا الحب ولا موضع فى ذلك القلب . ومن هنا نستطيع أن نتبين مع رابعة لما لم يكن للحضرة النبوية أو الحقيقة المحمدية حظ فيما تغنت من حب ، وما خلفت من آثار .

وأما ابن الفارض ، فهو وان تشابه مع رابعة من وجه ، الا انه يختلف عنها من وجه آخر : فمثله كمثلها فى أنه كان يحب الله حبا ملك عليه حسه ونفسه وقلبه ، حتى انه كان يمسى ويصبح ، يروح ويغدو ، يرحل ويقيم ، وهو لا يستشعر حبا الا لله ، ولا يحس اقبالا الا على الله ، ولا يدرك بجوارحه وجوانحه جمالا الا جمـــال الله ، وليس له من أن تسمو نفســـه ويصفو قلبه ، ويطير طائر حبه الى وكر الازل حيث يتصل بالملأ الأعلى ويشـــهد محبوبه الاسمى ، عند المشهد الأسنى والمورد الأحلى .

وهكذا استوعب الحب الالهى حياة ابن الفارض الروحيـــة استيعابا يصوره ديوانه أصدق تصوير ، وتعبر عنه قصائده أرق وأدق تعبير . وان

الشاعر الصوفى ليبالغ فى وصف حبه الالهى ، وما لقيه فى سبيل هذا الحب من محن وخطوب ، وما احتمله من مشقات وأهوال ، كما يظهرنا على أن غايته من سلوك طريق الله ، وقطعه عقبات هذا الطريق ، لم تكن الجنة وما أعده الله فيها لعباده المقربين من نعيم مقيم ، وأن الدافع له الى قطع هذه العقبات وسلوك ذلك الطريق ، لم يكن خوفه من النار وما أعد فيها للكافرين من عذاب أليم ، بل أن غايته التى يطمح الى تحقيقها ، ويجد فى تحقيقها سعادته وبهجته وطمأنينته هى الظفر بلقاء رب الجنة ، والفوز بنظرة من وجهه الكريم . وابن الفارض هنا انما يذهب مذهب رابعة فى الحب الالهى ، الحب لوجه المحبوب الاسمى ومطالعة جماله الازلى فى كل معنى من المعانى ، وفى كل مجلى من المجالى . ومن هنا نجد ابن الفارض كما وجدنا رابعة من قبل قد استغرق فى حبه الالهى استغراقا يكاد أن يكون تاما والى هنا نتبين كيف انتهى ابن الفارض الى منزلته من هذا الحب الذى لم تشبه شائبة من هوى أو غرض ولم تفسده مفسدة من شهوة أو نزوة أو مرض ، كما نتبين مكانته بين العاشقين الذين يقول أنه نسخ بحبه آية عشقهم من قبله بحيث أصبح خليقا بأن يلقب من دونهم بسلطان العاشقين وأمام المحبين .

واذا كان ذلك كذلك ، فنحن نستطيع اذن أن نتبين فى يسر وجه الشبه بين ابن الفارض ورابعة وأن نتبين أيضا لم لا نجد لرابعة أقوالا أو أبياتا فى الحب النبوى ، ولا لابن الفارض الا أبياته التى يتحدث فيها عن الحقيقة المحمدية بلسان الجمع مع هذه الحقيقة، وأن نتبين بعد هذا كله لما لم يخص أحدهما أو كلاهما الرسول عليه الصلاة والسلام بطائفة من المدائح المنثورة أو المنظومة .

على أن ابن الفارض وان كان متفقا مع رابعة من هذا الوجه ، الا أنه مختلف عنها من وجه اخر : فهو كما أشرت آنفا قد تحدث فى تائيته الكبرى بلسان الجمع مع الحقيقة المحمدية فوصف ذات صاحبها عليه الصلاة والسلام ، وعدد صفاتها ، وبين رتبتها من الذات العلية والصفات الالهية ، وكشف عن صلتها ونسبتها من العوالم وما فيها من موجودات علوية وسفلية ، وهو فى غير التائية الكبرى من شعره قد تغنى بذكر كثير من الاماكن الحجازية المقدسة ، وردد فى كبير من قصائده ذكر حبيبه أو أحبته الذين سعد بقربهم فى تلك الاماكن عندما أقام معهم فيها ، وشقى بفراقهم

بعد ما رحل عنهم منها • وحديثه هاهنا عن حبه وقربه ووصله وسعادته ، وعن بعده ونزوحه وفراقه وشقاوته ، كل أولئك يمكن أن يفهم فى بعض المواطن على أنه حديث بلغة الحب الالهى من ناحية أو بلغة الحب النبوى من ناحية أخرى ، وعلى أن المحب هاهنا يصدر عن حب يتخذ موضوعه من الذات الالهية والحقيقة العلية ، أو من الذات المحمدية والحضرة النبوية • ومع هذا كله فنحن لا نكاد نجد لابن الفارض قصيدة أو طائفة من القصائد واضحة الدلالة على أن الحب الذى يرتل أنشودته انما هو حب نبوى ، وان المحبوب الذى يتغنى حبه ويصف جماله انما هو الرسول عليه الصلاة والسلام •

ومهما يكن من شىء ، فاننا قد نجد لسلطان العاشقين البيت أو البيتين فى مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولعلنا واجدون أيضا العلة التى من أجلها لم يطلق الشاعر الصوفى نفسه على سجيتها فى الحب النبوى ومدح الرسول ، كما أطلقها فى الحب الالهى ووصف الحقيقة العلية :

فمن هذا القبيل قول ابن الفارض فى هذا البيت : -

وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وهنا يروى عن الشاعر الصوفى انه لما نظم هذا البيت فرح وقال : «لم يمدح بمثله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم» • وقد أكبر فريق من شراح ديوان ابن الفارض شأن هذا البيت اكبارا عظيما الى حد جعلهم يرون معه انه لو لم يكن لابن الفارض فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم سوى هذا البيت لكفى • وعلى حين يذهب حسن البورينى هذا المذهب فى فهم هذا البيت على أنه مدح للرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، نرى عبد الغنى النابلسى يذهب مذهبا آخر فيشرح البيت على أنه قيل فى أول مخلوق وهو الحقيقة المحمدية والنور المحمدى الذى خلق الله تعالى منه كل شىء والذى جماله وحسنه هو كل الجمال وكل الحسن ، فاذا وصف الواصفون ما عسى أن يصفوا لا يبلغون ذلك • ولعل الذى حمل كلا من البورينى والنابلسى على أن يذهب مذهبه فى تأويل معنى هذا البيت على الوجه الذى يرى ، هو بعض القرائن والمناسبات التى ورد ذكرها فى القصيدة الفائية التى منها هذا البيت ، وهى القصيدة التى يخاطب ابن الفارض محبوبه فى مطلعها بقوله : -

قلبى يحدثنى بأنك متلفى روحى فداك عرفت أم لم تعرف
لم أقض حق هواك ان كنت الذى لم أقض فيه أسى ومثلى من يفى
مالى سوى روحى وباذل نفسه فى حب من يهواه ليس بمسرف

وليس من شك فى أن أظهر قرينة وأبرز مناسبة وردت فى هذه القصيدة ، وجعلت البورينى ينظر الى المحبوب الممدوح فى ذلك البيت على

انه الرسول عليه الصلاة والسلام ، وحملت النابلسى على أن يرى انه الحقيقة المحمدية أو النور المحمدى ، هى ما ضمنه ابن الفارض بنفسه من ذكر بنى سعد وهى قبيلة حليمة السعدية مرضعة النبى صلى الله عليه وسلم من ناحية ، كما أنها القبيلة التى يرد اليها نسب ابن الفارض نفسه من ناحية أخرى ،، وذلك اذ يقول : -

يا أخت سعد من حبيبى جئتنى ... برسالة أديتها بتلطف
فسمعت ما لم تسمعى ونظرت ما ... لم تنظرى وعرفت مالم تعرفى

واذا كان ذلك كذلك ، وكان المحبوب الذى يقول عنه ابن الفارض ان الواصفين له بالحسن مهما تفننوا فى وصفه فلن يبلغوا ما يريدون ، هو الرسول عليه الصلاة والسلام، فماذا عسى أن يكون معنى البيت الذى يذكر فيه ابن الفارض ذلك المحبوب الممدوح ؟

يقول البوريني فى شرحه لديوان شاعرنا : « ان معناه أن الواصفين الذين تفننوا فى وصفه بالحسن لا يستطيعون أن يبلغوا غاية وصفه ، ولا أن يستغرقوا ما فيه من وافر الجمال ، ولو استمروا على ذلك الى انقضاء الزمان ، وتمام الدوران ، حتى أن الزمان يفنى فى وصفه وقد بقيت فيه أو صاف لم يدركوها ولم يفقهوها، فعلم أن أوصاف جماله أكثر من أوصاف الزمان » . وهذا يعنى بعبارة أخرى من عبارات البوريني أيضا : « أن الزمان ، وتمام الدوران ، حتى أن الزمان يفنى فى وصفه وقد بقيت فيه الحاسب ، ولا يحصيها الكاتب فهى أوسع من الزمان ، وأوفر من حوادث الحدثان . » . فاذا أضفنا الى هذه المعانى ما ذكره الشارح بعد من أنه بلغه ممن يثق به أن الشيخ رضى الله عنه قال : « لو لم يكن لى فى مدح الرسول سوى هذا البيت لكفى » ، دل ذلك على أنه قصد به مدحه صلى الله عليه وسلم .

واذا كان المحبوب الممدوح فى بيت ابن الفارض هو الحقيقة المحمدية أو النور المحمدى ، فماذا عسى أن يكون معنى البيت اذن ؟ يقول النابلسى فى (كشف السر الغامض من شرح ديوان ابن الفارض) : «ان هذا المحبوب الحقيقى لو أتى الواصفون له بأنواع الفنون فى وصف حسنه وجماله ، تذهب الدنيا وتنقضى وقد بقى من ذلك الحسن والجمال أمور لم توصف ولم تذكر . ولا شك فى ذلك ، فان أول مخلوق قبل كل شىء هو الحقيقة المحمدية ، وهو النور المادى الذى خلق الله تعالى منه كل شىء ، وجماله وحسنه هو كل الجمال وكل الحسن ، فاذا وصف الواصفون ما عسى أن يصفوا لا يبلغون ذلك » .

هذا فيما يتعلق بالحبيب الممدوح فى ذاته ، أما فيما يتعلق بالقرينة أو المناسبة التى تضمنها البيتان الاخيران ، وهى الخطاب الذى يوجهه الشاعر

الى أخت سعد ، فان ذلك يعنى عند البوريني : « أن الشيخ الاستاذ صاحب هذا الشعر سعدى ، وكذا حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فان حليمة التى أرضعته من بنى سعد ، كما قال : « أنا أفصح من نطق بالضاد ، بيد انى من قريش ، واسترضعت فى بنى سعد ، فلك أن تقول : مراد الشيخ رضى الله عنه أن يخاطب روحه الشريفة يعنى : ياروحى التى هى من بنى سعد ، قد جئت الى برسالة من حبيبى الذى أحبنى فتعرف الى لأعرفه .. ويحتمل أن يكون المراد نداء حبيبه من بنى سعد كما هو عادة العرب ..»

وهو يعنى عند النابلسى : « أنأخت سعد كناية عن روحه المنفوخة فيه من روح الله عن أمر الله ، فكان روح الله الذى هو أول مخلوق ، هو السعد المحض الذى لا شقاء معه وهو روح أرباب العصمة من الانبياءعليهم السلام .... ويريد بالرسالة هذه العلوم الالهية ، والمعارف الربانية والحقائق الرحمانية .... وهذه رموز الهية ، فى قوالب . كلمات معنوية ، لايعرفها الا صاحب البيت ، الذى وضع الله فى سراج بصيرته من الهداية زيت » .

ولابن الفارض قصيدة أخرى تغنى فيها للحب ، وذكر فيها المحبوب ، واختلف الشراح حول المراد بهذا المحبوب أهو الذات الالهية ، أم هوالحقيقة المحمدية أو الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهذه القصيدة هى الميمية التى تعرف بالخمرية ، والتى يقول الشاعر الصوفى فى مطلعها : -

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
لها البدر كأس وهى شمس يديرها هلال وكم يبدو اذا مزجت نجم

وقد قدم البوريني بين يدى شرحه لهذه القصيدة بمقدمة ذكر فيها : « ان هذه القصيدة مبنية على اصطلاح الصوفية . فانهم يذكرون فى عباراتهم الخمرة بأسمائها وأوصافها ، ويريدون بها ما أراد الله تعالى على ألبابهم من المعرفة ، أو من الشوق والمحبة ، وان الحبيب فى البيت الاول عبارة عن حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقد يريدون به ذات الخالق القديم جل وعلا ، لانه تعالى أحب أن يعرف فخلق ، فالخلق منه ناشىء عن المحبة ، وحيث أحب فخلق فهو الحبيب والمحبوب ، والطالب والمطلوب » .

واذا كان البوريني يتردد بين أن يكون الحبيب هنا هو حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبين أنه ذات الحق القديم عز وجل ، فان النابلسى يذهب الى أن الحبيب انما هو الحق تعالى .

ومهما يكن من أمر المذاهب المختلفة التى ذهب اليها شراح ديوان ابن الفارض من أن الحبيب أو المحبوب الذى يرتل الشاعر الصوفى أنشودة حبه ، قد يكون فى أكثر شعره عبارة عن الذات الالهية والحقيقة العلية وقد يكون فى بعض أبيات قليلة عبارة عن الذات المحمدية والحضرة النبوية ، فان

الشيء الذى لا شك فيه هو أننا لا نكاد نعثر لابن الفارض على قصيدة بأكملها قصد فيها من أولها الى آخرها ، الى وصف حبه النبوى ، وذكر حبيبه المحمدى وانما هو قد احتفل بحبه الالهى ، وبمحبوبه الحقيقى ، احتفالا لم يسبقه اليه أحد من المتقدمين ، ولم يشاركه فيه أحد من المعاصرين ، ولم يلحق به فيه أحد من المتأخرين فهو من هذه الناحية امام المحبين ، وسلطان العاشقين .

فاذا أردنا بعد هذا كله أن نعلل موقف ابن الفارض من الحب النبوى ، ولما لم يخصص بعض قصائده الطوال أو القصار لمدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، قلنا لعله قد شغله حبه الالهى عن حبه النبوى ، وملك عليه قلبه ذكر محبوبه الحقيقى وهو الله عز وجل ، أكثر مما ملك عليه هذا القلب ذكر حبيب ذلك المحبوب الحقيقى وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، لان محمدا قد اختص من دون الانبياء عليهم السلام بمقام المحبة ، فالله قد اتخذ من محمد حبيبا ، على حين اتخذ من غيره من الانبياء صفيا ونجيا وخليلا ، ومن يدرى فلعل ابن الفارض قد نظر من هذه الناحيـــة فرأى أن حب الحبيب النبوى منطو أو مندرج فى حب الحبيب الالهى ، اذ حبيب المحبوب الحقيقى محبوب . ومن يدرى أيضا فلعل ابن الفارض قد تأثر بمذهب رابعة على الوجه الذى تبيناه آنفا ، أو اقتدى بأبى سعيد الخراز فيما يروى عن هذا الاخير من أنه رأى النبى عليه الصلاة والسلام فى المنام ، فقال له : «يارسول الله اعذرنى ، فان محبة الله تعالى شغلتنى عن محبتك ، فقال له النبى : يامبارك ، من أحب الله فقد أحبنى » . ومن هذا القبيل ما يروى عن ابن الفارض نفسه من أنه رؤى فى المنام ، فقيل له : لم لامدحت المصطفى صـــلى الله عليه وسلم فى ديوانك ، فقال : ـ

أرى كل مـدح فى النبى مقصرا ... وان بالغ المثنى عليـه وأكثرا
اذ الله أثنى بالذى هو أهـــله ... عليه فما مقدار ما يمدح الورى

محمد مصطفى حلمى
أستاذ الفلسفة والتصوف بآداب القاهرة

* * *

نفحات القرآن

(توجيه حق ·· ورقابة ·· وجزاء عدل)

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد اللطيف محمد السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

(أ) يا معشر الجن والأنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى ، وينذرونكم لقاء يومكم هذا ·· قالوا : شهدنا على أنفسنا ، وغرتهم الحياة الدنيا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ··

(ب) ولكل درجات مما عملوا ، وما ربك بغافل عما يعملون ·· »

أصح ما تكون التربيـــة اذا قامت عـلى التوجيه ، والرقابة ، وتوقيع الجزاء ··

وهذا صنيع الله ، سبحانه ، مع خلقه فيما أمر ونهى ، وفيما وعد وأوعد ولله المثل الأعلى فى كل شىء ولدينا آيات من الكتاب العزيز تكشف لنا عن قيام هذا المنهج فى صلة الله بخلقه ، وحسابهم على هذا ، وجزائهم عـلى ما كان ···

فالله سبحانه يلقى سؤاله فى اليوم الآخر على خلقه من الجن والأنس : « **ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى ، وينذرونكم لقاء يومكم هذا** » فهو يسجل عليهم جميعا أن الرسل بلغوا ، وان التوجيه من جانب الله قد حصل ، وهم يقرون على أنفسهم بهذا ·· « **شهدنا على أنفسنا** » وهذا تقرير بالحق ولا محالة ·· ثم يسجل الله عليهم ـ ثانيا ـ أنهم نسوا الله ، وتجاهلوا رقابته : « **وغرتهم الحياة الدنيا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين** » وفى هذا التقرير والاقرار اشادة بأن لله رقابة كانت قائمة من جانبـــه ، وكانت مهملة من جانبهم ، ولم يكن عذر فيها ·· والله تعالى لم يترك لعبده حجة يتعلل بها عن تخلفه واهماله ··

ثم يتدرج بنا القصص الى تصريح قاطع بأن وراء ذلك جزاء لا مفر منه ، ولا ينسلخون عنه ، وأن منازل الجن أو الناس ليست عند الله سواء ، وأن عدل الله سيقوم فيهم جميعا على ما أحاطت به رقابته ، وتكفلت به حكمته : « **ولكل درجات مما عملوا** » يعنى ولكل واحد من المكلفين درجة من الجزاء بقدر ما عمل ·· (١)

---

(١) كنا نتابع هذه السلسلة فى مجلة الازهر ، ولأمر ما رايت من الخير أن أنتقل بها الى مجلة الاسلام والتصوف

الشيء الذى لا شك فيه هو أننا لا نكاد نعثر لابن الفارض على قصيدة بأكملها قصد فيها من أولها الى آخرها ، الى وصف حبه النبوى ، وذكر حبيبه المحمدى وانما هو قد احتفل بحبه الالهى ، وبمحبوبه الحقيقى ، احتفالا لم يسبقه اليه أحد من المتقدمين ، ولم يشاركه فيه أحد من المعاصرين ، ولم يلحق به فيه أحد من المتأخرين فهو من هذه الناحية امام المحبين ، وسلطان العاشقين .

فاذا أردنا بعد هذا كله أن نعلل موقف ابن الفارض من الحب النبوى ، ولما لم يخصص بعض قصائده الطوال أو القصار لمدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، قلنا لعله قد شغله حبه الالهى عن حبه النبوى ، وملك عليه قلبه ذكر محبوبه الحقيقى وهو الله عز وجل ، أكثر مما ملك عليه هذا القلب ذكر حبيب ذلك المحبوب الحقيقى وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، لان محمدا قد اختص من دون الانبياء عليهم السلام بمقام المحبة ، فالله قد اتخذ من محمد حبيبا ، على حين اتخذ من غيره من الانبياء صفيا ونجيا وخليلا ، ومن يدرى فلعل ابن الفارض قد نظر من هذه الناحيـــة فرأى أن حب الحبيب النبوى منطو أو مندرج فى حب الحبيب الالهى ، اذ حبيب المحبوب الحقيقى محبوب . ومن يدرى أيضا فلعل ابن الفارض قد تأثر بمذهب رابعة على الوجه الذى تبيناه آنفا ، أو اقتدى بأبى سعيد الخراز فيما يروى عن هذا الاخير من أنه رأى النبى عليه الصلاة والسلام فى المنام ، فقال له : «يارسول الله اعذرنى ، فان محبة الله تعالى شغلتنى عن محبتك ، فقال له النبى : يامبارك ، من أحب الله فقد أحبنى » . ومن هذا القبيل ما يروى عن ابن الفارض نفسه من أنه رؤى فى المنام ، فقيل له : لم لامدحت المصطفى صـــلى الله عليه وسلم فى ديوانك ، فقال : —

أرى كل مـدح فى النبى مقصرا ... وان بالغ المثنى عليـه وأكثرا
اذ الله أثنى بالذى هو أهـــله ... عليه فما مقدار ما يمدح الورى

محمد مصطفى حلمى
أستاذ الفلسفة والتصوف بآداب القاهرة

* * *

سورة التحريم

للاستاذ الدكتور عبد الحليم محمود
استاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

(وأسرار التنزيل ورموزه فى كل باب : بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن نفس العالم ، ويند عن تبصره) الكشاف

الانسان بطبعه طلعة ، والناس دائما يسألون عن البواعث والعلل والغايات فاذا لم يروا رغبتهم فى ذلك ظنوا وتوهموا وخالوا .. لذلك أعجل فأقول :

ان اختيارى لهذه السورة الكريمة لم ينشأ عن استعراض للقرآن ، ثم وقوف عند هذه السورة بالذات ، وانما حدثت ظروف اتفاقية وجهت نظرى اليها :

ففى يوم من الايام تناولت كتاب الله غير متعمد أن أقرأ فيه سورة خاصة ، وكان على أن ألقى غداة ذلك اليوم كلمة عن فائدة علم النفس ، فما ان اتممت قراءة سورة التحريم ، حتى غمرنى شعور قوى تركز فى صورة سؤال :

لم لا أتخذ من هذ السورة الكريمة مثالا تطبيقيا ؟ قرأت السورة مرة ثانية فاذا بى أقف مشدوها أمام ماحوته من عناصر نفسية ، واذا بى أردد قول الله تعالى :

« كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » .

فسرت اذا كمثال تطبيقى ، هذه السورة الكريمة ، فهل أتيت فى تفسيرها بجديد ؟ وهل هذ التفاسير المختلفة ، القديم منها والحديث ، على كثرتها وتنوعها تركت مجالا للبحث فى تفسير القرآن ؟

لاشك أن الناس أخذوا فى تفسير القرآن منذ أن أنزل ، وان التفاسير الموجودة لاتكاد تحصى ، وان المطبوع منها قيم نفيس . وانه ليحز فى أنفسنا أن لاتزال بعض التفاسير خطية لم يتح لها أن تطبع بعد . وما من شك فى أن سعة الدولة الاسلامية ، وترامى أطرافها ، وضمها عناصر مختلفة من الشعوب والاجناس ، وأنواعا متباينة من الثقافات ، دينية

كانت أو فلسفية ، كل ذلك وغيره من عوامـــل ، كان سببا فى تعدد التفسير ، واختلافها وتباينها ، وكثرتها كثرة تجعل الشخص الذى لم يتصل بالقرآن اتصالا مباشرا ييأس ، من محاولة التجديد أمام هـــذا التراث الهائل ٠ بيد أن الشخص الذى اتصل بالقرآن اتصـــالا مباشرا يتفق مع « الشيخ عبد العزيز جاويش » فى رأيه وقد ســـئل عن خير تفسير للقرآن فقال : الزمن !!!

على أننا لسنا فى حاجة الى ألمعية فذة لتعرفنا أن كل تفسير للقرآن ، قديما كان أو حديثا ، هو تفسير ناقص ٠ فاذا أبدع صاحب الكشاف فى دقائق البلاغة وأجاد فهو ناقص فى النـــاحية التاريخية وغيرها ٠ واذا أكثر الطبرى من الرواية والنقـــل وأجاد فى الترجيـــح فانه ناقص فى تصوير ما يكشف عنه القرآن من خلجات النفس ، وهمسات الوجدان ، ومن كل هذه الدقائق الروحية التى يفيض بها القرآن ، والتى صـــورها الصوفية فى تفاسيرهم فأحسنوا وأجادوا ٠

واذا كان تفسير البقاعى ـ وهو للاسف الشديد لايزال مخطوطا رغم نفاسته ، ورغم تعدد الاصول الموجودة فى مكتبة الازهر ودار الـكتب ، والتى تسهل تصحيحه وطبعه طبعا متقنا ـ قد أحسن الحديث عن المناسبات بين الآيات وأجاد فى ربطها ، فقد قصر فى نواح أخرى ٠

ولعل القارىء يقر معى أن تفسير الشيخ طنطاوى جوهرى يسرف فى الحديث عن التربية وعن الطبيعة وعن السنن الكونية ، ويقصر فى نواح أخرى غاية فى الاهمية ٠

والقرآن ولا شك هدى السماء ، والهـــدى يرتكز أولا وبالذات على الناحية النفسية ، ولذلك يرى الأستاذ أمين الخولى ، وهو محق فيمـــا يرى ، أن تفسير الشيخ محمد عبده الذى يستفيض فى النواحى الاجتماعية يأتى فى المرتبة الثانية بالنسبة لتفسير يرتكز أولا وبالذات على الناحية النفسية ٠

تفسير يرتكز على الناحية النفسية ٠٠؟ أنه لم يوجد بعد ٠ واذا أردت أن تصل برأى الاستاذ الخولى الى غايته فانه يمـــكنك أن تقول بـكل بساطة : ان القرآن لم يفسر للآن ٠ وتلك قضية لها شأنها ولها مكانتها واذا ناقشتها أو جادلت فيها فستعترف ، لاشك ، بأن منطقها لاينهار ، ـ أن انهار ـ فى سهولة ويسر ٠

ومهما يكن من شىء ، فانى أظن أن القارىء يتفق معى الآن فى أن كل تفسير ناقص ، وفى أن هذه القضية هى من البداهة بحيث لم تكن فى حاجة الى كل هذا الايضاح ٠

ان كل مايتصل بالقرآن شائك ، وكل حديث يمسه عرضة للقيل والقال ولعل من الخير أن يكون الامر كذلك . ولعل الحكمة فى الانحياد عن هذا السبيل ، وأن نكون دائما محافظين ومتحفظين .

لذلك فانى ، رغم ايضاحى السابق ، أريد أن أصل الى نفس النتيجة من طريق آخر ، هو فى الوقت نفسه تعليل لما ذكرت .

كنت أتحدث مع الدكتور أبو السعود ، فى : «القرآن والعلم» وانتهى بنا الحديث الى تفسير بعض الآيات القرآنية ، وأخذ هو يفسر « **فلينظر الانسان مم خلق ؟ خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر** » أخذ الدكتور يفسر هذه الآية فى دقة ، وأظننى لست فى حاجة الى القول بأنه يفهم هذه الآية فهما صحيحا نعجز عنه نحن علماء الدين .

ولا شك فى أنه يجب أن نحد من كبريائنا الأنانى لنفسح مكانا كبيرا للأطباء وعلماء الطبيعة حتى يفسروا لنا النصوص التى تتعلق بدائرة اختصاصهم والا أخطأنا وزللنا وخبطنا خبط عشواء .

وفى القرآن قصص وأخبار تتعلق بناحيتين : احداهما تاريخية محضة والثانية تاريخية دينية ، ومهما قيل فى أن المقصود بهذا القصص انما هو العبرة والعظة ، فان ذلك ، على ما أعتقد ، لايبرر جهلنا بالتاريخ ، ولايبرر الخلط فى تفسير كتاب الله . يجب اذا أن نحد أيضا من الأنانية ، وأن ندع للمؤرخين وعلماء تاريخ الاديان مكانة كبيرة شاسعة لان دائرتهم عظيمة الأهمية مترامية الأطراف .

وفى القرآن هدى يتصل بالناحية النفسية ، وفيه مسائل من صميم علم الاجتماع ، ونحن فى محيطنا الأزهرى المحدود لا قبل لنا بكل هذا . فهل من مكان لمن تخصصوا فى هذه العلوم ؟

ولقد أنزل القرآن بلسان عربى مبين . ومما يؤسف له أن أعلام البيان فى العصر الحاضر لا يكادون يمتون الى الأزهر بصلة ، ولا بد من الاستعانة بهم حتى نستفيد من خبرتهم الأدبية .

هذه المسائل التى ذكرتها ترجع فى النهاية الى الخبرة . بيد أن الخبرة أعم وأشمل ، وهى ، عملية كانت أو نظرية ، لابد منها للمفسر .

وأظن القارىء لا يقتضينى البرهنة حينما أقول :

ان ميادين الخبرة ، على اختلافها ، وتباينها ، وسعة محيطها ، لا تتركز جميعها فى فرد ، أو فى بضعة أفراد ، بل لاتتركز فى عصر ، أو فى بضعة عصور . وانما هى تراث ينمو ويتجدد مع الزمن . ومن هنا كان السر فى عمق كلمة الشيخ جاويش .

قلت ان الخبرة لا بد منها للمفسر • وأريد أن أبين الآن المدى البعيد الذى تشمله الخبرة ، وأن أضرب مثالا قد يبدو غريبـــا ، ولكنه بقليل من التأمل يظهر عاديا مألوفا ••

أرأيت الى عمرو بن أبى ربيعة ممتطيا صهوة جواده يطارد ظباء الوحش تارة ويغازل ظباء الانس أخرى ثم ترنم :

لها من الظبى عيناه ولفتته ونخوة الفاره المختال اذ صهلا

أتفهم هذا البيت ؟ ستقول : نعم• بيد انى أشك فى هذا ، فلابد لفهمه من أن ترى وأن تنتبه الى عينى الظبى ، الى لفتته ، ومن أن ترى وتنتبه الى نخوة الجواد الفاره المختال حينما يصهل • ولابد مع ذلك من أن ترى فتاة تتمثل فيها هذه الاوضاع • لقد أتيح كل ذلك لعمرو بن أبى ربيعة لأن حياته كانت مقسمة بين الخيل والغزلان ، ففهم ، وأدرك ، ووازن ، ثم شدا وترنم ، ولم يتح هذا لكثير غيره ، وهؤلاء لا شك سيمكثون بمعزل عن فهم هذا البيت •

ستقول : ان فهم البيت شىء وتذوق الجمال فيه شىء آخر ، فاذااقتضى تذوق الجمال فيه كل ذلك أو بعض ذلك فان فهمه لا يقتضى شيئا منه••

قد يبدو هذا الرأى وجيها ، غير أنه مما لاشك فيه أن الذوق لاينفصل عن الفهم ، بل هو فى الفنون لا يختلف معناه عن معنى الفهم • هل تفهم الشعر اذا لم تتذوقه ؟ هل تدرك سر البلاغة ان لم تضرب فيها بسهم ؟

هل تفهم التصوف ان لم تذق طعم الروحانية ؟ هل تفهم الموسيقى ان لم تكن ذا وجدان يتذوقها ؟

واذا كنت خبيرا بالشىء وصاحب ذوق فيه ، فانك تكون أقدر الناس على شرحه وفهمه وتفسيره •ولذلك كان البحار أقدر من عالم الدين على تفسير قوله تعالى : « **أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها** (١)•

وكثير من الناس أقدر من الفقهاء على تفسير قوله تعالى : « **الله نور السموات والأرض** •• » الآية •

ولسنا فى حاجة الى القول بأن الدكتور محمداً وصفى قد وفق ، بسبب خبرته ، غاية التوفيق فى كتابه « الاسلام والطب » ، وقد أحسن الحديث

---

(١) قرا بحار اوربى ترجمة هذه الآية فاعتقد أن محمدا صلى الله عليه وسلم قضى حياته وسط البحار ، فلما قيل له ان محمدا لم يركب البحر قط ، اعتنق الرجل الاسلام •

عن «تطورات خلق الانسان» بمناسبة قوله تعالى : «**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ..** » الآية . وأبدع فى تبرير موقف القرآن من الخمر ، والطلاق والميتة ، والدم ، ولحم الخنزير .

لابد اذن من الخبرة بمعناها العام الشامل الذى يتضمن العلوم كما يتضمن الفنون . ولو نظرنا الى الازهر فى ضوء هذا لوجدنا أن دائرته ضيقة محدودة .

فاذا أراد الأزهر خدمة كتاب الله كان عليه ، لا مناص ، أن يستعين بأعلام البيان العربى وبكبار الباحثين فى التاريخ بما له من فروع وأقسام وبالأطباء والمشرعين والباحثين الاجتماعيين والنفسيين ، وبغير هؤلاء .

وكل ذلك ميسور ، بل سهل التحقيق . واذا كان المسيحيون قدخدموا دينهم لأن فيهم القساوسة الاطباء وفيهم القساوسة الرياضيين والطبيعيين والباحثين المتخصصين فى كل فن وعلم ، واذا كانوا قد وصلوا ، بذلك الى أن يثبتوا من دعائم هذا الخليط من الآراء الذى يسمونه الآن « المسيحية » رغم ما يثبته مؤرخو الاديان من تغيير فيها وتبديل ، اذا كان المسيحيون قد فعلوا هذا وأكثر من هذا ، أفلا نخرج من عزلتنا فندعو العلماء المتخصصين الى التكاتف معناوالعمل على خدمةكتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ؟

ولو قام الازهر على رأس هيئة من المتخصصين لكان عمله لاريب أقرب الى الكمال . بيد أن القرآن يفسره الزمن : « **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى** » .

لذلك كانت مهمة الازهر فى هذا الصدد دائمة مستمرة ، وكان الوضع الطبيعى ألا تنتهى هذه الهيئة من تفسير كتاب الله حتى تبدأ فى تفسيره من جديد .

واذا كان الفرنسيون وغيرهم من الامم الغربية يفعلون هذا فيمايتعلق بقاموس لغوى فلا ينتهون الا ليبدءوا ، أفلا نقوم نحن بذلك بالنسبة لكتاب الله الخالد ؟ لعل الأزهر يقوم بتنفيذ الفكرة ولو فى صورة مصغرة . والمشاريع لا ينقص من قدرها أن تبدأ متواضعة ثم تنمو .

أما بعد ، فموعدنا ، لتفسير سورة التحريم ، العدد القادم ان شاء الله .

وأما بعد ، فيقول الجاحظ : اذا سمعت انسانا يقول : ما ترك الاول للآخر شيئا فاعلم انه يريد أن لا يفلح .

التصوف الإسلامي
حقيقته ومناهجه

بقلم الدكتور محمد غلاب أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

نستطيع بعد الذى أشرنا اليه فى الكلمات السالفة أن نقدم التصوف الاسلامي الى القراء الكرام نقيا خالصا كما نشأ من القرآن والاحاديث القدسية والنبوية وبسطناه فى نصوعه الاولى قبل أن تلتقى به الدخائل الأجنبية ، وأبنا أن ثمرته المقصودة هى الاتصال التام بين الروح البشرية وخالقها ، لا سيما بعد أن تبين للمؤمنين أن هذا الاتصال هو المنقذ الوحيد من أخطبوط الفتن والاضطرابات ، وأن الوصول الى الحقيقة التى تتوق اليها نفوسنا ، لا يتيسر لنا عن طريق الظلال الحسية ، ولا عن طريق المفاهيم الذهنية ، بل بالعكس هى حجب تحول بيننا وبين تلك الحقيقة المرموقة من كل قلب . ولكى نظفر بها ناصعة ، ينبغى أن نخترق هذه الحجب الحسية . والوسيلة المثلى لهذه الغاية هى تخلية النفس عن علائق اللذائذ ، وتنقية القلب من شوائب الرغبات . وعندما يصل المريد الى هذه هذه المرحلة ، يتطلع الى أسمى منها وهى مرتبة التخلص من ذاته والقائه بهويته فى بحر الغوث الالهى . وعلى أثر ذلك قد يفيض الله عليه حياة مشرقة مليئة بالانوار والاسرار لا تبدو محجبة الا أمام أولئك الذين رضوا لأنفسهم الانحصار فى عالم الظواهر أو فى محيط الظلال والصور الذى تحدث عنه أفلاطون فى أسطورة الكهف الشهيرة ، واذن فالحديث عن التصوف هو حديث عن الروح نفسها . ولكنه ليس حديث هواية أو رغبة فى الاحاطة بالمجهول ، وليس للبحث عن سبب من أسباب الفرار الذى ينقذ المتنسكين من أعباء الحياة العملية ، كما يزعم الذين حسبوا أن التصوف هو لون من ألوان الضعف والفرار من المسئولية .. وانما هو أمثل الوسائل لعثور الفرد على روحه ، ولظفر المجتمع بكيانه الحقيقى وتماسكه المتين ، لانه كفيل بأن يكشف الحجب عن كل ما غمض من هذه الجوانب كشفا تاما ، ومعنى هذا أن التصوف هو تسام يوصل الى السمو ، وفى هذا يقول أحد أعلام الصوفية فى القرن الثالث ليس التصوف نصوصا محفوظة ، ولا علوما نظرية ، وانما هو أخلاق فحسب . واذن فهو قاعدة الحياة .

وفى الحق ان التصوف هو القاعدة التى ـ عن طريق التأمل فى القرآن،

ومحاكاة حياة النبى - تسمح لصاحبها بأن يصل الى أسمى حد ممكن من الحياة الروحية التى أبرز طوابعها الواضحة هو حب الفضيلة . ولكنه ليس حبا قوامه انعزال المرء فى نفسه ، أو دورانه حول ذاته ، بل هو حب سداه الاحتكاك الكثير المتتالى ببيئته ، ولحمته الايثار ، بل الفدائية لمجتمعه . لأن المميز الذاتى للصوفى الحقيقى هو الامتزاج التام بالحياة اليومية للجماعة ، والعكوف الدائب على تأدية واجب المساعدة والنصيحة .

ولما كان هذا الجانب الاجتماعى من التصوف الاسلامى ، لا يزال مجهولا لدى السواد الاعظم من المسلمين ، بل لدى أكثر الصفوة من خاصتهم ، فاننا نرى من الحق علينا - وضعا للامور فى نصابها - أن نقرر أن للتصوف الاسلامى أربع مراحل رئيسية ، أولاها انعطاف الروح البشرية نحو خالقها ، واتجاهها اليه بكليتها . وثانيتها بذل الجهد العظيم فى التطهير الباطنى ، واعداد النفس لتلقى الفيض الالهى . وثالثتها الانجذاب الذى يحقق الاتصال المرموق ، وهنا ينبغى أن نعترف بأن بعض المريدين السالكين مناهج التصوف ، كثيرا ما يقفون عند هذه المرحلة الثالثة ، ويكتفون بهذا القدر من الفيض الربانى . ولعل هذا هو الذى خدع الكافة وأكثر الخاصة فى الحكم على صوفية المسلمين، وأبرزهم فى هذه الصورة المشوهة المشبعة بالأنانية ، والتى لا تشتمل على أية فائدة للمجتمع . ولكن المكتفين بهذه المرتبة ، يعتبرون قد فشلوا فى تصوفهم فشلا ذريعا ، اذ أن المرحلة الرابعة هى أهم المراحل وأقيمها ، بل هى تاج الحياة الصوفية الذى يضمن نجاحها ، ويحقق ثمرتها ، ومؤداها أن الصوفى - بعد أن ينتهى من أزمات الانجذاب ، ويظفر بالرضى والطمأنينة - يعود الى الحياة الاجتماعية ويوجه كل نشاطه ، وجميع مظاهر سلوكه الى فوائد الآخرين ومنافعهم . وتلك بالاجمال هى حياة الاتقياء أو الحكماء من صوفية المسلمين .

وبما اننا قد استعملنا هنا لفظة الحكماء ، فقد وجب علينا أن نقف هنيهة عند هذه النقطة لنوفيها ما تستحقه من العناية ، وبيان ذلك انه لما كانت هذه الكلمة تطلق فى الاصطلاحات العربية على عظماء الفلاسفة ، كما تطلق على أعلام الصوفية ، فانه ينبغى لنا أن نلمع الى كل من الحكمتين الماعة خاطفة نبين بها الفرق بين منهجيها . وبهذا نلقى الضوء بطريقة آلية على طبيعتيهما دون تكلف ولا اصطناع ، ومجمل هذا الفرق ان الحكمة الفلسفية تكتسب بالمجهود الذهنى ، وتتقدم فى خطواتها على ضوء العقل .. وباسمه وحده تقدم الفلسفة مذاهبها المؤلفة من نظريات مرتبة منظمة يرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيق العرى ، متين الاواصر ، وباسمه تحاول أن تتعقل وتبرهن بوساطة المنطق ، معتمدة على وقائع ثابتة وأحداث مقررة . وهى تحاول كذلك أن تصل الى الحقائق أحيانا عن طريق

الظواهر ، وتؤلف معارف يمكن نقلها بوساطة التخـــاطب الى الافـــراد والجماعات ..

أما الحكمة الصوفية ، فلا يتناقل منها الا طرقها ووسائلها ومناهجهـا وتعاليمها وأوامرها ونواهيها ، وأما جوهرها ؟ فلا يمكن تناقله ولا تعلمه ولا شرحه كما هى الحال فى الفلسفة ، بل هو تجربة شخصية أو علم خفى ملىء بالاسرار يقدم من الحضرة اللدنية الى من يسعد بالاصطفاء . وهو — فيما يرى الكثيرون — يمكن أن ينتهل منه الجهلاء ، كما يظفر به أفذاذ العلماء ، ويمكن اللحـــوق به فى وسط الجماعات القلقة المتألمة كما يمكن ذلك فى هدوء العزلة وسكينة التوحيد ، لأنه يجتاز الحالات البشرية ، وبالتالى هو لا يخضع لشرائطها . وانما كل الذين يضنيهم الظمأ الى المطلق .. يستطيعون الاتجاه اليه ليلتقوا به . ووسيلة هذا الاتجاه هى مزاولة ذلك السفر الباطنى الذى تقوم به الروح نحو خالقها ، وهى لا تستطيع البدء فى هذا السفر الا اذا كانت طاهرة مخلصة خاضعة للاوامر الالهية .. متحكمة فى قواها ، سيدة لأهوائها ..

بيد أن هذا ليس معناه أن التصوف يجتاز حدود العقل أو يتجهم له ، أو أنه لا يعبأ بالتأملات الفكرية ، كلا فتلك فكرة خاطئة ..

حقا ان التاريخ يحدثنا انه كان بين مشاهير الصوفية عدد من الجهلاء الذين لم ينالوا من الثقافة حظا كبيرا ولا صـــغيرا ، بل هم من الاميين والدهماء ، ولكن ينبغى تسجيل أن أعلام التصوف الاســـلامى كانوا من جهابذة العلماء المتضلعين الذين يشار اليهم بالبنان ، وانهم وضعوا مواهبهم واستعداداتهم العقلية تحت تصرف استكمالهم الباطنى وتكميل الآخرين . ولما كان أولئك الاعلام قد منحتهم العناية الربانية نعمة موهبة التحليـــل السيكولوجى ، فقد أرادوا — حسب تجاربهم الخاصة — أن يرســـموا للآخرين فى أتم وضوح ممكن ، الطرق التى يجب على المـــريد اجتيازها لكى يصل الى عتبة الاتصال الذى ظل غير ممكن التناقل ، لانه سر الهى انكشفت وسائله ، وخفيت نتائجه « **ذلك فضل الله يؤتيه من يشـــاء والله ذو الفضل العظيم** » . من آية عشرين من سورة الحديد « **يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب** » آية ٢٦٨ من سورة البقرة .

ومن أبرز الامثلة بين أعلام الصوفية الاولين الذين عرفوا منزلة العقل ، ولم يغضوا من قيمته ، حسن البصرى ، وهو من أقوى الشخصيات الاسلامية على الاطلاق الى حد أن قيل عنه : « ان مرتبته فى التصوف لا تقل عن مرتبة عمر فى سياسة الدولة » ومما يلفت النظر فى ثقافة هذا الاستاذ .. انه لم يكن فى علم الكلام أدنى منه فى التصوف . ومما يمتاز به أنه

أسس مذهبه فى التنسك على وجوب مداومة الفكر أو التأمل طول حياة المؤمن . واذا أنعمنا النظر فى منهجه ألفيناه يشبه منهج سقراط الذى يعتمد على العقل فى اجتذاب سامعيه فى شيء غير قليل من الوداعة ، الى ملاحظة الضمير ، والى تطبيق مذهبه فى الزهد التنسكى ، ولكنه لم يشأ أن يضع أتباعه على رأس طريق التصوف الا بعد أن التجأ الى نور العقل الذى لم يخلقه الله عبثا ، ولم يخاطب فى تكليفه الا اياه ..

والآن نحسب أن ما قدمناه عن الصوفى الحقيقى يسمح لنا بأن نتمثله رجلا ذا ايمان ثابت ومزاج حازم وارادة قوية وأنه لا يستطيع أن يكتفى بملاحظة الأحداث الظاهرية والوقوف أمام وجودها أو رغبتها مكتوف اليدين ، خائر القوى ، مقتصرا على جمع الآراء ومناقشتها دون المساهمة فيها بنصيب علمى موفور . وانما نستطيع أن نجزم بأنه قبل كل شيء شغوف بالجوانب الثابتة الكامنه فى الظواهر الحائلة ، وانه دائب التنقيب عن الحقائق المستترة وراء المحسات الزائفة ، وان منهجه هو بحث باطنى شخصى ، وتأمل فى حكمة الاوامر الالهية ليبرزها فى صورتها الحقيقية الناصعة ، وليظهر عبادته فى كمالها الذى خفى على العامة والجماهير فأحاطوه بكثير من الخرافات والاساطير ، وذلك لأن الصوفى يعلم حق العلم - كما قال المحاسبى - أن الكلمات الالهية لا تنقش نقشا مثمرا الا على القلب المتخلى عن عبث الحياة ، والمستعد للسمع والطاعة .

وقصارى القول ان قوة أفكارهم تتولد من تاملاتهم المتوحدة المستأنية العميقة المتحمسة العملية التى يديمونها فى تدبر معانى القرآن ، ولا جرم أن الموفقين منهم ، يظلون عاكفين على هذا التأمل حتى لكأنهم يشعرون برنين القرآن يجلجل فى قلوبهم عى صورة مصغرة مما كان يحدث للنبى صلى الله عليه وسلم .

ومما هو غنى عن البيان أن غاية أعلام الصوفية من بسط نظرياتهم وعرض عظاتهم ، هى الدعوة الى العمل المستمر المؤسس على الفكر الدائم ، والصادر عن قوى النفس الثلاث ، أى : العقل والذاكرة والارادة . ولا شك أن العمل الذى هذا شأنه هو الذى يحقق اتجاه الفرد الى ربه ، والسير نحوه من خلال الليل المظلم المخيم على الحياة المادية .

وبما أننا أشرنا هنا الى نظرياتهم التى يبسطونها ، فانه ينبغى لنا أن نلمح اليها ، فمنها مثلا البحث عن طريق الوصول الالهى حيث يسأل الصوفى كيف يجد الانسان ربه ، ثم يجيب بقوله انه يجده باجتيازه العالم الحسى ، وبتمرين الارادة الشخصية ، ثم يسأل كيف يعرف ربه ؟ ويجيب : انه يعرفه عن طريق ايمانه بأنه هو الموجود الاسمى المفارق ، وبوساطة عقيدته الخالصة فى الجزم بسمو ذاته وبأنه ليس كمثله شيء » .

وأخيرا يسأل كيف يتصل الانسان بخالقه ؟ ثم يجيب : انه يتصل به حين ينظر اليه وحده ولا يعير أية لفتة لهذه الكثرة المخلوقة ، وحين يحصر حبه فى الذات الاقدس وحده معتمدا فى رجائه تحقيق هذا الاتصال ، على الحب المتبادل بين الخالق والمخلوق ، والذى أشارت اليه الآيات القرآنية اذ قالت : « ... **فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين** » . « **ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله** » آية ١٦٤ من سورة البقرة وكذلك أشار اليه الحديث القدسى بقوله : « ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها .. واذا تقرب عبدى منى شبرا تقربت منه ذراعا ، واذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا » الخ . ولا ريب ان الشبر والذراع ، والباع هى مقاييس مادية أتى بها تقريبا للاذهان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وانما المراد هو الدرجات المعنوية الدالة على القرب والاتصال لا أكثر ولا أقل ..

ومما هو جدير بالعناية هنا هو أن ننوه الى أن الامام الغزالى قد جلى مسألة الحب الالهى فى الجزء الرابع من الاحياء ، ومنذ ذلك العهد يمكن القول بأن التصوف الاسلامى قد تركز فى الاتصال الناشىء من الحب مع كثير من التباين بين الاحوال الشخصية ..

ومهما يكن من الامر ، فان هذا التأمل العميق من جانب صوفية المسلمين فى معانى القرآن ، وفى الحياة الروحية للرسول ، قد انتهى بهم الى الاستيقان بأن الزهادة التامة ، والاخلاص المطلق يلتقيان بقلب المؤمن على معراج النقاء ، وان الحالات السيكولوجية لهذا القلب تصير ثابتة ، وان الوصول الى هذه المرتبة يتحقق عن طريق التقدم المنظم المطرد الذى يؤلف المقامات المتتالية التى تسمح للسالك بأن يقتاد تأملاته فى نجاح حتى ينتهى الى عتبة الاتصال الراد ، ولا ريب أن هذه المقامات تختلف باختلاف أعلام الصوفية وثقافاتهم الخاصة ونزعاتهم الشخصية ، واستعداداتهم الفردية . ولقد كانت تلك المقامات فى مبدأ الحياة الصوفية الاسلامية قليلة العدد ، ولكنها - بوساطة التحليلات السيكولوجية المثابرة - جعلت تنمو وتتضاعف حتى لقد وصلت عند بعض أولئك الاعلام الى مائة كما سجل ذلك عبد الله الانصارى فى كتابه القيم « منازل السائرين الى رب العالمين » .

علم النفس والإسلام

- ٢ -

للدكتور محمد مظهر سعيد
عميد الفلسفة وعلم النفس والاجتماع

الانفعالات :

بينا أن الغرائز والاستعدادات الفطرية هى القوى الدافعة للانسان فى سلوكه وتصرفاته ، التى يقوم بها لتحقيق حاجة ضرورية ·

ولكل غريزة من هذه الغرائز انفعال واضح محدود ، يظهر على الانسان كلما جد موقف يستفز الغريزة ويثيرها ، فتتميز به عن غيرها من الغرائز· وتتلون به نفسه ، ويتأثر به فى الباطن ، كما تظهر آثاره على ملامح وجهه وحركاته وصوته وتعبيراته ، وبالجملة يصطبغ به سلوكه وتصرفه مادامت الغريزة تتسلط عليه فى هذا الموقف الخاص · وفى الحديث الشريف « يكاد المريب يقول خذونى » ·

ويقول الطبيب الرازى « ولاحظ أن مايجرى فى نفس الانسان من خواطر وما يعانيه من آلام · يمكن أن يستشف من خلال الملامح الظاهرة · ويقول ابن المعتز :

تفقد مساقط لخط المريب ... فان العيون وجوه القلب
وطالع بوادره فى الكلام ... فانك تجنى ثمار القلوب

ونحن لا نستطيع وصف الشعور العاطفى للانفعال ، ويضيق المقام عن وصف مظاهره الخارجية تفصيلا ، ولكنا على كل حال نستطيع أن نعرفه فى اسمه ، فكلنا مجرب له ، خبير به · فعند الهرب من الخطر يتملكنا الخوف، وعند القتال والكفاح يظهر الغضب ، وعند النفور من الشىء الكريه يبدو الاشمئزاز أو التقزز ، وتتميز غريزة السيطرة على من هو أضعف منا وأقل مكانة ، بشعور الانسان بذاته وأنها موجودة وجودا ايجابيا فعالا مسيطرا ، فى حين تتميز غريزة الخضوع بالشعور السلبى بالذات ، فيحس الخاضع بأنه فقد ذاته وارادته أمام من يسيطر عليه ، وغريزة الاستطلاع بالتعجب من كنه الشىء الغريب الذى نستطلعه ومخالفته للمألوف، وغريزة التجمع بشعور الائتناس بالغير لمجرد الوجود معه أو بجواره ، وغريزة الوالدية بالحنو على كل صغير والحدب عليه ·

ويظهر الانفعال الغريزى بصورته الفطرية العنيفة عند الأطفال والبدائيين الذين هم فى حكم الأطفال . ولكن الانسان كلما تقدم فى السن وازدادت خبرته واتسعت مداركه وثقافته وقويت ارادته ونمت شخصيته استطاع أن يعدل فى غرائزه ويكبح جماحها ويكتم الانفعال فى نفسه ، فلا يظهر عليه شىء فى آثاره ، ينم عنه . فيكون خائفا بالفعل أو غاضبا ، ولكنه يضبط نفسه فلا تظهر عليه علائم الخوف أو الغضب ، مع أن الانفعال يتملكه من الداخل على كل حال . بل انه من حسن ايمان المرء وكمال خلقه أن يكظم غيظه فلا يدع الغضب يسيطر عليه . وفى الحديث الشريف « ليس الشديد بالصرعة ، وانما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » .

« ومن دفع غضبه دفع الله عنه أذاه » . وقال تعالى « **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** » . ويقول الامام المراغى فى تفسير كظم الغيظ : « الكاظمين الغيظ الذين حبسوا غيظهم مع امتلاء نفوسهم منه ، وصبروا على الأذى والمكروه ، فلم تظهر عليهم آثار الألم عادة ، ولم يصدر منهم أذى لمن غاظهم » وليس معنى التسامح ولين العريكة والصفح أن يتلاشى الغضب فلا يشعر به الانسان فى داخل نفسه ، ولا يظهر عليه شىء منه ، وانما معناه منع التعبير الخارجى فقط ، فالرجل الذى لا يغضب جماد لا عقل له ولا كرامة ».

العواطف :

وبحكم تطور ظروف حياة الانسان واحتكاكه بالناس والمواقف ، وخبرته لهم ، تتطور انفعالاته ونزعاته الوجدانية ، فننتظم ونأتلف حول أشخاص بعينهم أو مواقف وأشياء معينة ، حتى تصبح دعامة وجدانية قوية نبنى بها وعليها صلاتنا بالناس ، ونرتفع الى مستوى العواطف الكاملة والشخصية القوية والخلق القويم .

فالعواطف اذن ميول وجدانية مكتسبة تتكون بحكم الظروف الاجتماعية والبيئة والاختلاط بأشخاص معينين ، وليست وليدة النظرة العابرة ، والمقابلة الأولى العارضة ، أو الحب والكراهية من أول نظرة كما يقال .

ولكل عاطفة تاريخ نمو وحياة وتطور ، أو تبدأ جنينا صغيرا فى انفعال واحد ثم ينمو ويترعرع كلما انضم اليه انفعال آخر ، حتى تنضج وتكمل . وتنتظم أكبر عدد ممكن من الانفعالات ، فتصبح عاطفة كاملة كالحب أو الكراهية . وهى على هذا الاعتبار يسرى عليها ما يسرى على كل كائن حى ، فهى دائما فى حاجة الى غذاء ينميها ورعاية خاصة وعناية مستمرة . فالمحب فى حاجة دائمة الى أذكاء الحب وابقائه حيا ناميا ، والا خمدت جذوته وانطفأت ، وهرمت العاطفة واضمحلت ، وماتت ، وعادت الى لا شىء كما بدأت من لا شىء .

وقد صور شوقى رحمه الله تطور عاطفة الحب تصويرا لطيفا فى بيتين :

نظـــرة فابتسامة فســـلام فـــكلام فمـــوعد فلقـــاء
ولقـــاء يـكون فيـــه دواء وفراق يـكون فيـــه الداء

ولذلك نهى الرسول عن نظرة الفجارة ، التى تشعل الشرارة الأولى ، وأمر من سأله عنها أن يكف فلا يتبع النظرة بأخرى ، لأنها قد تثير فيه شهوة الغريزة التناسلية فى الموقف الأول ، أو اذا تكررت تعقبها صلات تؤدى الى عاطفة تورط الانسان فيما لا ضرورة له ، أو تدفعه الى الفاحشة وانشغال البال والقلب ٠

وفى الحديث الشريف «العينان تزنيان والرجلان تزنيان ، والفرج يزنى» أى أن انفعال الجوارح يؤدى الى الزنا ٠ وفى حديث آخر « لتغضن أبصاركم ولتمغظن فروجكم أو ليسكفن الله وجوهكم » ٠

الحب :

فالحب الصحيح عاطفة تنتظم فيها الانفعالات الطيبة السارة ، فيكون منها بعد اكتمالها بطول العشرة والخبرة بناء متين مركزه الشىء المحبوب ، سواء أكان هذا الشىء المحبوب شخصا أو شيئا ماديا كالمال أو فكرة معنوية كالدين أو الوطنية ٠ فالمحب يشعر نحو محبوبه أو الشىء أو المبدأ الذى يحبه ، بالخوف عليه والاشفاق والقلق اذا تعرض للخطر ، والغضب عند الاعتداء عليه ، كما يغضب لنفسه ، بل وأشد ٠ ويشعر بنفسه شعورا ايجابيا عند الاستئثار به ، والظهور أمام الناس بمظهر الجدير بهذا الحب ، ويشعر كذلك نحوه شعورا سلبيا، يتمثل فى تذلله وخضوعه له واسترضائه ويتعجب فى كل أعماله ويعجب بها ويراها بعينى الرضا حتى عند المخاصمة والاساءة ، ويشعر بالحزن لغيابه أو فقده ، والسرور ان ناله خير ، والشكر والامتنان لمن يرعاه ويحسن اليه ٠

وقد تناول الناس من قديم الزمان ، من فلاسفة وشعراء وأدباء ــ هذه العاطفة بالدرس والتحليل ، وجعلوها بحق على رأس العواطف الانسانية ، وعرضوا للصلة بين المحبين وما يربطهم من شعور متبادل ، وما يجده كل منهم فى نفسه من مشاعر وأحاسيس نحو الطرف الآخر ٠ فهذا عبد الله بن طاهر ذو الرياستين يقول فيه عندما سأله المأمون عنه : « يا أمير المؤمنين : اذا تقاومت جواهر النفوس بوصل المشاكلة انبثت منها لمحة نور تستضىء بها بواطن الأعضاء فتتحرك لاشراقها طبائع الحياة ، فيتصور من ذلك خلق خاص للنفس ، متصل بجواهرها يسمى الحب » ٠

وحقيقة النفس عند المتصوف : حالات أو أنواع من الشعور باللذة والألم وأهم ما فى ذلك الحب الذى يسمو بنا الى الله ٠ وليس هو الخوف أو الرجاء ، وليست السعادة معرفة ولا هى ارادة ، ولكنها فى الاتحاد بالمحبوب ٠

ويقول اخوان الصفا : المحبة أسمى الفضائل ، وهى المحبة التى نهايتها

الفناء فى الله ، المحبوب الأول . وتظهر هذه المحبة فى هذه الحياة نفسها على صورة الصبر المشبع بروح التقوى والرضا عن جميع الخلق » .

ويقول ابن مسكويه : « أساس الفضائل وأول الواجبات جميعا هو محبة الانسان للناس كافة ، وبديهى هذه المحبة لا تقوم جماعة قط » . ويرتب درجات المحبة ، فى موضع آخر فيقول : « أحكام الشريعة لو فهمت على وجهها الصحيح لكانت مذهبا خلقيا ، أساسه محبة الانسان للانسان . والدين رياضة خلقية لنفوس الناس . وغاية الشعائر الدينية ، كصلاة الجماعة والجمع ، هى أن تغرس الفضائل فى نفوس الناس . فهى تعلمهم محبة الجار فى أوسع صورها » . وأعلى درجات الحب عنده « محبة العبد الخالصة لله ، ومحبة الحكماء عند تلاميذهم ، وبعدها محبة الوالدين » . وليس الحب صلة بين الرجل والمرأة فحسب ، فان الصداقة نوع سام فى الحب ، فيها كل ما فى الحب المألوف من الألفة والتوافق . بل أن بعض المفكرين والفلاسفة يضعون الصداقة فوق الأخوة والقرابة والنسب . فأرسطو يراها « امتدادا من حب الانسان لذاته حتى يشمل غيره ، ومن ثم يكون الصديق الحق فى منزلة النفس .

ويقول البهاء زهير فى وصف ليلة سعيدة :

قطعتهـــا ولا تسل فى الخبر بصاحب حلو الحديث والسمر
تحضر كل راحـــة اذا حضر

ويقول الطائى :

ذو الود منى وذو القربى بمنزلة واخوتى أسوة عندى واخوانى
عصـــاية جاورت آدابهم أدبى فهم وان فرقوا فى الارض جيرانى
أرواحنا فى مكان واحد وغدت أبداننا نيشام أو خراســـان

وعن سعيد بن المسيب قال : كتب الى بعض اخوانى « وعليك باخوان الصدق فكن فى اكتسابهم ، فانهم زينة فى الرخاء ، وعدة عند تحطيم البلاء . واعتزل عدوك واحذر صـــديقك الا الأمين ، ولا أمين الا من خشى الله تعالى » .

والمثل الأعلى للصداقة يتمثل فى حب المؤمن للمؤمن ، وصداقته له ، فانها تجعلهم أخوة متحابين ، متساوين فى الحقوق ، متكافئين فى الواجبات مشبعين بروح الايثار ، والله تعالى يقول فى كتابه الكريم « **انما المؤمنون أخوة ، فاصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون** » . وفى الأحاديث الشريفة « المسلمون تتكافأ دماؤهم » . « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . وفى حديث آخر « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ، ولا يتطاول عليه فى البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه » .

ويقول الامام المراغى : « الايمان عقد بين أهله ، فى السبب القريب والنسب اللاحق ، وهو ان لم يفضل الاخوة ولم يبرز عليها ، لا ينقص عنها ولا يتقاصر عن غايتها » .

ومن الناس من تغريهم اللذات والمتع المادية ، فيجعلون مركز عاطفتهم شيئا ماديا كالمال أو النساء ، فتنصب حياتهم على الاكثار ، ويجدون المتعة كلها فى دوام الكسب أو الوصال . والله تعالى يقول : « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة** » . ومن الناس من يحب المال لذاته ، وهذا بخل ممقوت وشح مذموم .

وفى الحديث الشريف : ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه .

ويروى الغزالى عن عمر بن يحيى بن خالد بن برمك : انه كان بخيلا شديد البخل ، وله نسيب بائس . فقال له بعضهم أنت منه بهذه المنزلة وأثوابك ممزقة . فقال : انى لا أقدر على ابرة أخيطها بها ، ولو ملك محمد بيتا من بغدادالى النوبة ، مملوءا آبرا ، ثم جاء جبريل وميكائيل ويعقوب أبو يوسف يستعيرون منه ابرة يخيطون بها قميص يوسف الذى قد من دبر ، ما فعل » .

محمد مظهر سعيد
عميد الفلسفة وعلم النفس والاجتماع

أصحاب امتياز التعبئة : مصانع تعبئة سيكو - س.ت ٣٣٠٩٤

العمل

للأستاذ الدكتور مصطفى كمال وصفى
مستشار مساعد بمجلس الدولة

« أهدى هذه المقالة الى روح والدى .. فقد كان يحفزنى دائما الى العمل »

لا شك أن العمل النافع المنتج الخالص لوجه الله هو من أهم القربات الى الله ، وأعظم العبادات ، وان للعاملين عند الله أجر كبير .

وقد حض الله على العمل بقوله : « **وقل وعملوا** » وقوله : « **والذين آمنوا وعملوا الصالحات** » وحض على السعى فى الحياة والضرب فى مناكب الارض والانتشار عقب صلاة الجمعة سعيا وراء الرزق . كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمتعبد ، أن أخاه الذى يسعى ، أعبد منه . وقال : « ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرهن الا السعى على الرزق » أو كما قال ، .. وقال : « غفر الله لرجل بات وهو كال من عمل يده » أو كما قال .

كما جاء فى آثار الصالحين وكبار المتصوفين أنهم كانوا يحضون على العمل . فقد اشتهر أكثرهم بأسماء صناعاتهم كالحلاج والخواص والبقال (أستاذ ابن الفارض) والرفاء وغيرهم . وأثر عن امامنا الشاذلى أنه قال لاحد مريديه ، وكان يريد أن يهجر عمله ليتصوف : ان الطـــريق ليس معناه هجر العمل بل معناه الاخلاص فيه . وقول الامام القشيرى : ان التوكل مناطه العمل . فلا يقال للقاعد أنه متوكل ، بل يصح أن يقال ذلك عن المقدم العامل .

***

والعمل اذا كان لوجه الله كان عبادة خالصة له . ويكون القـــائم به عابدا متحققا بقول الله : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** » . فليست العبادة هى النسك الدينية فحسب ، بل ان العبادة قسمان :

أ – عبادة مجردة ، وهى القيام بالنسك والشعائر كالصـــلاة والذكر واخراج الزكاة والصيام والحج .

ب – عبادة عملية ، وهى السعى على الرزق وتحقيق المصالح العملية ، وهى لا تقل فى أهميتها عن العبادة المجردة .

ولذلك فلا يفهم قول الصوفية أن ينقطع الانسان الى العبادة ، على أن ينقطع عن الدنيا وأسبابها ، والامتناع عن العمل اكتفاء بالخلوات وما اليها فهذا فهم خاطىء ، ومن أجله ثار الذين لم يفهموه على المتصوفين وظنوهم

يدعون الى العقم وعدم الانتـــاج . مع أن الانسان يكون عابدا فى عمله ، وليس فى انقطاعه وتجرده فحسب . وقد استعاذ الرسول عليه الصـلاة والسلام من العجز والكسل .

***

وعلى ذلك يتحقق للانسان معنى الانقطاع للعبادة والتفرغ لها ، متى قام بعمله باخلاص ولوجه الله وحده . فاذا كان التاجر يبيع وهو ينوى ببيعه أن يوفر للناس حاجاتهم ويقضى لهم مطالبهم ، ثم يوفر لنفسه ولاهل بيته الرزق الحلال ، كان عابدا خالصا ليله ونهاره ، عمله عبادة ، وراحتـــه استجماما للعمل عبادة . ونومه عبـــادة . وتفريجه عن نفسه بأسـباب التسلية المشروعة عبادة . لانه يتقوى بذلك على عمله الطيب الصالح . وربما كان عند الله أعبد من المنقطع للتنسك كقول الرسول عليـــه أزكى الصلاة والسلام .

وليس ثمة ما هو أصلح للنفس وأحسن لراحتها وعلاجها من العمـل . فهو علاج نفسى صائب ، وتقويم عظيم لهـــا . فالعمل يطهر النفس من أدران الحقد والحسد ، ويطرد عنها الوساوس . فالعامل المجد يكون دائما مشغول بعمله عن أحوال الناس وعن النظر الى عيوبهم وتلمس أخطائهم والتكدر بأفعالهم . ولا يجد من الفراغ ما يعقد به لنفسه الامور ، ويقلب لها الحقائق . كما أنه لنشاطه واجتهاده لا يشعر بما يشعر به القاعدون من مرارة الخيبة وضئالة النفس بسبب العجز ، مما يحملهم على الحقد على الناس وحسدهم بلا مبرر . كما أنه عادة يصيب الثروة والنعيم فيكون راضى النفس قرير العين قانعا بما أعطاه الله ، فيورثه ذلك مقـام الرضا بالحال ويمكنه من المساهمة فى الخير بالانفاق على نفسه وعلى أهله وعياله وعلى أوجه الخير . فيصيب أجرا على أجر وخيرا على خير .

أما المتكاسل القاعد بلا عذر ، فهو كالماء الآسن . خبيث النفس والطوية وان تظاهر بالطيبة استدرارا للشفقة وتصيدا للفتات . فتمتلىء نفسه بالعقد وتفيض بأسباب الالتواء فيكون عدوا لنفسه وللناس ، محاربا لله ورسوله فيما يحبانه لهذا العالم من العمار واقامة المصالح .

وشرط العمل أن يكون خالصا لله . ولا يكفى أن يكون نافعا للمجتمع. فاذا تصدق غير المؤمن لم يكتب له ذلك عملا صالحا . واذا بذل العـــالم علمه لقصد السبق العلمى وحده لم يكن ذلك عملا صالحا يجـزى به عند الله . لانه لم يبذله لله بل بذله عبادة لنفسه ولسمعته . أما اذا أقامه لله فله به الثواب العميم . فشرط قبول العمل هو الايمان لقوله تعالى : « **ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن** » وقوله : « **والذين آمنوا وعملوا الصالحات** » أما ظهور المصالح على يد غير المؤمنين فهـــو من المقدورات التى لا يثابون عليها ، ومثله كمثل سقوط المطر . اذ لا تثاب السحابة على أمطارها .

واذا كان العمل لله كان حائزا لارفع المقاصد . فالقاضى مثلا قد يحسن الحكم حتى يقال عنه أنه قاض متمكن . فعمله ليس لله ولكن رياء لنفسه ، أو يحسنه حتى يرضى عنه الحكام فعمله أيضا غير صالح ، وان صادف الحق والصواب . ولكن اذا بذله للحق وحده ، وبقصد اتمام المصلحة فى ذاتها لله كان عمله عبادة قائمة . وساعة منه خير من عبادة سبعين عاما . وذلك ولو أغضب ذوى الشوكة والنفوذ .

والعمل فرض كفاية على الأمة كلها . فالأمة تحتاج لمن يعالج مرضاها . ولذلك فقيام الطبيب بهذه المهمة نيابة عن الذين لا يحسنون هذا العمل فيه سد لحاجة المجتمع الى الطبيب وابراء لهم من اثم اهمال هذا المرفق . وكذلك حاجتهم الى المدرس أو الى القاضى أو التاجر أو الصانع . فهؤلاء جميعا يقومون مقام المحتاج لهذه الخدمة التى لا يحسنها . وبذلك يتقسم العمل فى المجتمع ويختص كل واحد بعمل ويقضى حوائج الناس فيه ، ويقضون هم حوائجهم عنده ، فيتعاونون على البر والتقوى .

وكلما زادت كفاية المرء زاد عمله وزادت حاجة الناس الى خبرته ، وعند ذلك يجب عليه ألا يضن على الله والناس بما أتاه الله من فضله . والا كان بخيلا شحيحا ومخالفا لقانون الله « وانفقوا » ويكون من الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله .. فليس البخل بالمال . بل بكل ما يملكه الانسان من وسائل وامكانيات . واذا زاد عمل الانسان زاد ثوابه . ولذلك فلا يجب عليه أن يتضجر من كثرة العمل أو يتبرم به . بل عليه أن يحمد الله على ذلك ولو لم يزد فى رزقه . فمادة العمل كالحقل الذى يجنى منه الثواب ، وكلما اتسع حقله أو تلاحق نضج ثمره كلما كان ذلك خيرا له . أما التعب والنصب فالله كفيل بأن يمده بالعون والمجهود . ولولا عون الله ما أمكنه أن يحرك ساكنا . **فاليد التى تعمل هى يد الله . والفعل صادر من الله . وكفى الانسان شرفا أن تنفذ ارادة الله وبركته خلاله . فلا يكون ممسكا لفضل الله مانعا أن تنفذ هذه البركة خلاله . بل عليه أن يترك نفسه ويستجيب لله ويكون آلة طيعة لارادته وانفاذ مشيئته .**

غير أنه أحيانا ، قد يختار الله العبد فى مقام التجريد ، فيحرمه وسيلة الارتزاق ووسيلة العمل فلا يكون أمامه الا العبادة المجردة . وليس لنا أن نعترض على هذه الفئة المختارة . فقد أقام الله العباد فيما أراد . وانما على كل منا أن يعمل بأقصى طاقته وجهده ما استطاع لذلك سبيلا . « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** » .

الرفاعى : مصطفى كمال وصفى

« الا بذكر الله تطمئن القلوب »

للاستاذ الكبير عبد الوهاب خلاف

سعادة الانسان فى هذه الحياة فى اطمئنان قلبه ، وراحة باله ، واستقرار خواطره ، وقد أرشد الله عباده فى كلمة موجزة حكيمة الى الوسيلة التى تحقق لهم هذه السعادة ، وتقيهم من عذاب القلق والاضطراب ، وآلام الجزع والهلع ، وشقاء الشك والارتياب ، فقال جل ثناؤه وهو أصدق القائلين : « **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** » .

وذكر الله الذى تطمئن به القلوب ليس هو مجرد ترديد اللسان لاسم من أسمائه أو صفة من صفاته ، وانما هو تذكر الوهيته وعظمته . واستشعار رأفته ورحمته وقهره وعزته ، واستحضار حكمته فى سننه وعدالته فى قضائه وقدره .

فمن راض نفسه على أن يتذكر ربه فى جميع حالاته فى سرائه وضرائه ، وفى شدته ورخائه وفى صحته وسقمه ، وفى طاعته ومعصيته ، أسند كل أمر الى مصدره ، واطمأن الى حكمة الله فيما نزل به ، فسكن قلبه واستراح من آلهم والحزن على ما فاته . ومن الزهو والبطر بما ناله ، وأمن متاعب القلق والاضطراب .

فاذا ابتلى بفقد عزيز عليه أو بكارثة نزلت به وتذكر ربه وأن كل ما يقع انما هو مقتضى ارادته ، ونفاذ لحكمه وأنه لا راد لما أراده ، ولا معقب لحكمه ، اطمأن قلبه وسكن الى ما قضى به ربه وسلم واستسلم ولم يجد فى صدره حرجا مما أراد الله ، ولا اعتراضا على ما حكم به الله ، وفى هذا الاطمئنان عزاء وسلوان ، ورضا وراحة بال . قال تعالى : « **ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير** » .

واذا خسر التاجر فى تجارته أو خاب العامل فى سعيه ، أو رسب الطالب فى امتحانه ، أو فات الانسان أى خير يرجوه ، وتذكر ربه وأنه لا يصيب أحدا الا ما كتبه الله له وان يرده بخير فلا راد لفضله . اطمأن قلبه الى أن ما فاته لم يكن له ، والى أنه لو كان له ما فاته ، وفى هذا راحته من الاسترسال فى الهم والحزن ووقاؤه من اليأس والقنوط . قال تعالى : « **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له** » .

واذا أوتى الانسان نعمة وزاده الله بسطه فى الرزق أو العلم أو العافية أو الثراء أو الجاه وتذكر ربه ، وأن هذا الذى ينعم فيه انما هو من فضل الله عليه واحسانه اليه ، اطمأن قلبه الى رحمة الله وكرمه ، وانطلق لسانه

بحمده وشكره ، وشكر النعمة يزيد المنعم كرما واحسانا • قال تعالى : « **لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد** » •

واذا وفق الانسان الى طاعة ربه والعمل بما يرضيه ويقرب اليه وتذكر ربه وأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا ، وأنه انما يجزى العامل على نيته ، وأنه ينظر الى القلوب والسرائر ، لا الى الصور والظواهر • أخلص فى عمله ووجه وجهه الى من يهديه ويجزيه • قال صلى الله عليه وسلم : « **انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى** » •

واذا وقع الانسان فى خطيئة أو اقترف اثما وتذكر ربه وأنه غافر الذنب وقابل التوب ، لم ييأس من رحمة الله ، ووجد السبيل ممهدة للتوبة والانابة ورجاء العفو والمغفرة •

قال تعالى : « **والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله** » •

فبذكر الله وصفاته وآيات رحمته وقدرته يحيا الضمير وتستيقظ حاسة الخير وتسكن النفس الى الحقائق ، بهذا يطمئن القلب وتهون الشدة ويستحق الانسان معونة ربه وتوفيقه • وروى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله عز وجل : « **أنا عند ظن عبدى بى وانا معه حيث يذكرنى** » •

ومن هذا تتبين الحكمة فى أن الله أعد المغفرة والاجر العظيم للذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، وعد أولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، وعد ذكر الله أكبر من الصلاة فى النهى عن الفحشاء والمنكر « **ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر** » وتتبين الحكمة فى الله سبحانه توعد الغافلين عن ذكره ، ونهى عن طاعتهم واتباعهم ، وأمر باجتنابهم والاعراض عنهم فقال عز شأنه : « **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** » وقال سبحانه « **فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا** » وقال جل ثناؤه : « **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين** » •

ذلك لأن الغافل عن ذكر ربه الذى لا يستشعر آياته ولا صفاته فى محنه ولا نعمة ولا فى طاعة ولا معصية يشقى حتى فى النعمة ويضل حتى فى الطاعة ، فان أصابته محنة لم يجد ملجأ ولا مفزعا وتضيق الدنيا فى وجهه ، وتتراكم خواطر الشر والسوء فى عقله ، ويستولى عليه اليأس والقنوط ، مصداق قول الله سبحانه : « **ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا** » واذا ناله خير استقبله بالاشر والبطر والزهو والغرور وفى غفلة عن ذكر الله يستخدم نعم الله فى معصيته وبهذا يعرض النعمة للزوال • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اذا رأيتم الله يعطى العبد مايحب وهو مقيم على معصيته فان ذلك منه استدراج** ، ثم تلا قوله تعالى : « **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى اذا فرحوا بما**

أوتو أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » أى آسفون حزينون ! واذا وفق الى طاعة اغتر بظاهر عمله ونسى أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله الا أن يتغمده الله برحمته ، ويتقبل عمله بقبول حسن · واذا وقع فى معصية استمرأ العصيان وأصر على ما فعل وران على قلبه ما كسبه ·

فمن أراد الله به الخير وفقه الى أن يكون على ذكر من ربه فى كل حالاته فيحيا ضميره ويطمئن قلبه وتستيقظ حاسة الخير فيه · ومن أراد الله به السوء أغفل قلبه عن ذكره فاستسلم لهواجسه ، واستحوذت عليه وساوسه وشكوكه · وكان أمره فرطا أى بعيدا عن الصواب غير واقف عند الحد الذى حده ربه « **من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا** » ·

روح العمل

للأستاذ منصور رجب
الأستاذ بكلية أصول الدين

أهدانى – مشكورا – سماحة السيد .. محمد علوان .. شيخ مشايخ الطرق الصوفيه رسالة المشيخة فى عهدها الجديد ومعها الاعداد التى صدرت من المجلة – مجلة التصوف الاسلامى – : أما المجلة فهى لسان حال المشيخة .. مشيخة الطرق الصوفية .. وشعارها قول الله تبارك وتعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »

وأما الرسالة فتقدم نلقاء نبذة عن التصوف الاسلامى : رسالته .. مبادئه . ماضيه .. حاضره . وتتطلع الى مستقبل التصوف فى مركز البعث الجديد .. وهى اذ تتطلع الى المستقبل تنادى الصوفى أن تذكره بعهده الذى قطعه على نفسه .. فما من صوفى الا ويأخذ العهد على يد شيخ يمثل فكرة التصوف وما فكرته الا أن تكون بين الناس مثلا طيبا فى خلقك وسلوكك وايمانك بالله رب العالمين .. مثلا فى محرابك .. فى عملك .. فى حبك .. فالحب أول صفة من صفات الصوفى : الصوفى يحب عمله .. يحب شيخه .. يحب الناس كلهم .. يحب حتى الحيوان .. يحبه لا لشىء .. لا لغاية .. وانما يحبه لله .. ولله وحده .. اذا وصل الصوفى الى هذه الدرجة .. أو الى هذه المنزلة .. فقد وصل الى فكرة التصوف .. وانتظم فى سلك الصوفية ..

هذا الذى يصل مقامه كبير .. ومركزه عظيم خطير وقيمته عالية غالية خالدة : اسمعوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب يقول أو يروى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ان من عباد الله لأناسا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله عز وجل .. فقال رجل : من هم يا رسول الله ؟ .. وما أعمالهم لعلنا نحبهم ؟ .. قال : قوم يتحابون بروح الله عز وجل من غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها .. والله ان وجوههم لنور .. وانهم لعلى منابر من نور .. لا يخافون اذا خاف الناس .. ولا يحزنون اذا حزن الناس .. ثم قرأ قول الله تبارك وتعالى : « **ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » .

هذا الحديث الشريف .. يرسم الطريق أمام الصوفى .. يرسمه لتسير

فيه وتسير حتى تصل الى هؤلاء الذين هم ليسو بأنبياء ولا بشهداء .. لكن يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله عز وجل .

الطريق الى هؤلاء هو أن تحب كل شيء لله : تؤدى واجبك لذات الواجب .. تحب الناس لله لا لعلة . لا لغاية . لا لغرض .. تدافع عن وطنك لا رياء . ولا نفاقا . ولا زلفى لاحد .. وهكذا يكون سلوك فى هذه الحياة فى كل ناحية من نواحى عملك ونشاطك : فى محرابك .. فى حقلك .. فى مصنعك .. فى متجـــرك .. فى بيتك وبين أهلك .. فى كل شيء تقوم به أو تؤديه وتفكر فيه .

هذا هو الطريق .. طريق الصوفية .. يرويه ابن الخطاب .. أو يخطه عن رسول الله صلوات الله عليه . .وهو طريق لا أقول شاقا عسيرا .. بل سهلا يسيرا .. على من يراقب نفسه .. ويجاهدها ويخلص لله فى عمله فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من عبد يخلص لله العمل أربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه »

نهاية الطريق هى : « أنك لا تخاف اذا خاف الناس .. ولا تحزن اذا حزن الناس .. بل ترضى بكل ما يصيبك من قدر الله وقضائه .. ورضى الله عن « رابعة العدوية » فقد سئلت : « متى يكون العبد راضيا عن الله تبارك وتعالى ؟ .. » فقالت : اذا كان سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة .. وليس معنى ذلك أن تكون « بليدا » كلا .. بل المعنى أن ترضى بكل ما يأتيك به مولاك .. ومن سار على الدرب وصل .

ونزولا على رغبة سماحة السيد محمد علوان سأسهم ان شاء الله فى هذه المجلة فأقدم للقارىء كلمة فى التصوف .. فى التاريخ .. فى الفقه .. فى السنة .. فى كل ما يهم الصوفى أن يعرفه من منبر هذه المجلة التى أرجو لها النجاح ان شاء الله .. وكلمتى اليوم عن «روح العمل» وأرجو أن يوفقنى وأن ينتفع به من هو فى حاجة اليه .. وأبدأ بكلمة عن : « روح العمل » ..

بعض الناس أصبح أدبهم فى ألسنتهم كلاما لا فى قلوبهم عمـــلا .. وهذا الادب لا يفيدنا فى شيء ما مطلقا فالفضيلة عملية لا قولية .. وقد حكم النبى صلى الله عليه وسلم على العمل الذى لا روح فيه حكم عليـــه بالبطلان .. أو هو قد حكم عليه بأنه لا يجزىء ولا يفيد .. فقال : « كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش » وروى عنه أن رجـــلا صلى فى المسجد ثم جاء الى النبى صلى الله عليـــه وسلم فسلم فرد النبى عليه السلام فقال له : « ارجع فصل فانك لم تصل » وروى عنه أيضا أنه قال : « ان الرجل لينصرف وما كتب له الا عشر صلاته » والاحاديث فى هذا الباب كثيرة .

فما معنى هذا ؟ .. معناه أن العمل اذا كان عملا آليا لا روح فيه فانه

لا يجزىء ولا ينفع ولا يفيد .. وعلى هذا فالذى يصلى صلاة .. كنقر الديكة وهو عن ربه مشغول فلا صلاة له .. والذى يصوم عن الاكل والشرب فقط ولا يصوم عما حرم الله فلا صيام له .. والذى يتعالم فيذيع علمه على الناس ليقال عنه : انه عالم فلا جزاء له .. وهكذا قل فى كل عمل لا روح فيه .. وروح العمل « الاخلاص » .

الاخلاص انسان عين العمل .. فعمل بلا اخلاص كعين لا نور فيها .. تراها فتظنها صحيحة فاذا هى كلاعين .. لا تحمل الا شكلها .. أما نورها الذى به ترى وتبصر وتمشى وتقرأ فمنها مفقود موءود .

والآفة التى تشوه انسان عين العمل .. أو التى تأكل الاخلاص فلا تبقى ولا تذر انما هى « الرياء » ..

فكم من انسان يكثر من صلاته رياء ؟ .. أو حتى يصلى أصل الفرض أمام الناس رياء ؟ .. وكم من انسان يصوم كذلك ؟.. بل كم من انسان يظهر التودد اليك لحاجة فى نفس يعقوب قضاها ؟ .. وكم .. ؟ .. وكم .. ؟ ..

الرياء من المهلكات المدمرات الناسفات .. ومن يقصد بعمله الرياء فلا ثواب له فى عمله أصلا بل هو معاقب عليه .. هو وبال عليه ولذلك يقول الله تبارك وتعالى : « **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** » ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أدنى الرياء شرك » .

الطريق .. طريق الصوفية .. هدفه .. غرضه .. الغاية منه تطهير النفس .. ولست بمستطيع أيها الصوفى أن تطهر نفسك الا اذا تخلصت من الرياء .. وانما السبيل أن يكون لعملك روح .. وروح العمل الاخلاص ..

نحن الآن بصدد بناء مجتمع يسير فى موكب البعث الجديد .. فكفى ما أصابنا فى الماضى من تفرق .. وخصام .. وتنابذ .. تتطلع أيها الصوفى الى المستقبل على ضوء « الاخلاص فى العمل » .

أنا أعلم — وأنت تعلم — أن رجال الطرق الصوفية منتشرون فى طول البلاد وعرضها كالشرايين فى جسم الانسان .. ورجائى من كل واحد منهم أن يعكف على نفسه ليجعل لعمله روحا تشع منه الحياة .. على أسرته .. وجيرانه .. وكل ما يتصل به .. فشعار الصوفية .. الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .. « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** » .

هذه كلمتى .. وما أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله .. عليه توكلت .. واليه أنيب ..

منصور رجب
الاستاذ بكلية أصول الدين

الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

الله نور السموات والأرض

الفصل الثانى : فطرة الحياة

وعدنا بتوفيق الله تعالى أن نضع مقاييسنا لدراسة الشخصية الانسانية وأهدافها فى فهم الحياة ، وتطور الحضارة بين يدى الحقيقة المحمدية الكريمة .

ولعل من الخير أن نبدأ اليوم بمقياس المقاييس ـ جميعا ـ مقياس العقل وفطرة الحياة ..

ان منطق طبيعة الأشياء ـ كما يدركها كل عاقل ـ يقول :

ان الانسانية تهدف من حياتها أن ترقى فى سلم التطور نحو الكمال البشرى وذلك يتطلب استغلال كل الطاقات التى زودت بها الانسانية فى النفس وما وراء النفس ـ ان أمكن ـ فى المادة وما وراء المادة .. ما دام هناك كيان لشىء ما .

فالأرض وما حملت من بحار وصحار ومناجم ونبات وحيوان ، وخصب ونماء والسماء وما أقلت من نجوم وشموس وأقمار ، واشعاع وضياء ، وسحب وأعاصير ـ كل أولئك ـ مجال استغلال الانسانية ـ لو قد فهمت رسالتها .

وذلك طريق الانسانية منذ كانت الى اليوم وغدا .

أو هكذا هو فى فهم قادتها الكرام من حكماء وفلاسفة ومصلحين .

وقد تعاون فى هذا السبيل ـ وما يزال ـ أهل الحكمة الهادية ، وأرباب السياسة والتشريع وأصحاب العبقرية فى الابتكار والفن ، وذوو السلطان والجاه ، ودعاة الاصلاح .

وما تزال كل أمة عامرة بهؤلاء القادة ـ رسموا ـ ويرسمون خطط الاصلاح فى سبيل هدف الانسانية الرشيد ـ ونعنى به :

الوصول بها الى مرتبة الكمال البشرى ، وتشييد صروح الحضارة فى كنف السعادة وظلال السلام .

وعلى مدى العقل الضارب فى أعماق الزمن ، وعلى مد البصر فى جنبات المعمورة نشاهد مواكب الاصلاح المتدافعة لاستغلال كل طاقة بشرية فى الجسم والنفس ، وكل طاقة مادية فى الذرة والمجرة ، وما تزال مواكب العلم فى ثورة ضد المجهول حتى خرجت علينا بثمرات جديرة بأن نغتبط بها حقا .

ففى عالم الذرة - عدا قنـــابل الدمار - ذلك المفاعل الذرى العجيب (السيكلوترون) أعجوبة كبرى فى القرن العشرين لتحطيم الذرة واستغلال طاقتها لخير الانسانية ، ثم ما يتصل به فى عالم الدقة تلك (الكاميرا العجيبة - كاميرا بيكمان هوايتلى) ، والتى تلتقط مليون وأربعمائة ألف (١٫٤٠٠٫٠٠٠) صورة فى الثانية الواحدة ، ولو التقطت شريطا فى دقيقة واحدة لاحتاج عرضه فى (سينما) الى ٤٠ يوما كاملة دون انقطاع .. ومايتصل بهما فى عالم الذر ذلك المجهر الالكترونى ذلك (الميكرسكوب) الذى أخذ يغوص بنا فى أعماق المادة حتى وصل بنا الى عالم الفيروس - المادى الحيوى - الذى يحير العقل البشرى فى تكوينه وخطره .

وسيكون لذلك - بتوفيق الله تعالى - أعمق الآثار فى دراســة الطب والتشريح ودراسة الذرة ومكوناتها والكشف عن طاقاتها .. وما خفى كان أعظم .

أما عالم الفضاء فقد نصبوا لدراسته مراصد كثيرة فى أنحاء العالم لعل من أروعها - مرصد جبل بالومار بكاليفورنيا - فقد بلغ قطر عدسته ٢٠٠ بوصة - أى ما يقرب من خمسة أمتار ، أما العجيب فيه فهو ما أعلنه مديره فى نوفمبر سنة ١٩٥٦ م من رصد مجرات تبعد عنـــا ألف مليون أى (١٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ بليون) سنة ضوئية أما السنة الضوئية فاصطلاح يقصدون به أن الضوء يسرى فى الفضاء بسرعة ٣٠٠ ألف ك م فى الثانية الواحدة - أى (٣٠٠٫٠٠٠ × ٦٠ ثانية × ٦٠ دقيقة × ٢٤ ساعة × ٣٦٥ يوما) . وأما عجيبة الفضاء الأخيرة فهى الصواريخ والأقمار الصناعية التى انطلقت فوق جاذبية الأرض ، وكون الأخير منها كوكبا عاشرا فى مجال جاذبية الشمس نفسها - وما خفى فهو أعظم .

أما مؤتمرات السلام والحكمة الهادفة لسعادة البشرية وتحضيرها فهى الأخرى تعقد فى كثير من بقاع العالم ، ولعل أنشطها حقا ما عقد أخيرا فى قارتى افريقيا وآسيا ، فى باندونج والقاهرة المعزية الناصرية وأكرا - - وكما يعقد فى الغرب . ولكننا نستطيع أن نلمح الدور الايجابى الذى يقوم به الشرق المشرق مهد النبوات ومهبط الحكمة ، ومنارة الحق منـذ طفولة الانسانية .. ليأخذ دوره الحقيقى فى قيادة البشرية نحو الكمـال الانسانى بعد أن ضل الغرب وطغت عليه المادة بظلمـــاتها وشهواتهـــا وزخرفها ..

أما الكلمة التى قالها حقا - قائد العروبة الرئيس جمال عبد الناصر :

« اننا على موعد مع القدر » فهى كلمة الالهام العالى التى تعبر بحق عن تطور الشرق الخطير فى الفترة الأخيرة ليأخذ دوره الايجابى فى قيادة البشرية نحو السعادة والسلام ، وستشهد افريقيا - تلك القارة السوداء كما يقولون - أعظم فتح ، وسيشهد الشرق العربى أروع انتصار فى سبيل الحق والحكمة لاسعاد البشرية .. ومن مصر بالذات - مهد الفراعنة ومهجر الاسلام نور الحياة ..

وان غدا لناظره قريب .. ولتعلمن نبأه بعد حين ..

والواقع أن كل تعويق لموكب البشرية الصاعد نحو الكمال البشرى - انما هو جناية كبرى على الانسانية ، فلو قد فهمت الهيئات الدولية العالمية واجبها حقا لنحت من قيادة الدول كل أنانى حقوده يوجه قواها نحو التدمير والتخريب والبغضاء ، ثم عليها أن تعمل جادة لتوجيه امكانيات العالم لتسخير طاقات الكون والعقل ، فما زالت الارض ومحيطاتها ، وأعاصيرها ، والشمس والنجوم وطاقاتها مستعدة أن تزود الانسان بفيض زاخر من النعمة والرخاء ..

وما زال العقل وقوى الانسان الروحية - التى كشف عنها الصوفية الكرام - وغفل عنها الظاهريون والماديون - مستعدة أن تمد الانسان بفهم رائع لأسرار الكون والحياة .

ومؤدى هذا الحديث أن تتحول المؤتمرات السياسية العالمية الى مؤتمرات للعلوم ، وأخرى للحكمة الهادية لاستغلال طاقات المادة والحياة .

والانسانية صائرة لذلك يوما ما - وقريبا بتوفيق الله تعالى - اذ أن سنة التطور التى تحكم هذا الكون تقول فى قياس من الفطرة الانسانية :

« ان الذى يرعى طفولة البذرة بعد تفتحها عن ورقات لتصير شجيرة فشجرة وارفة الظلال تعطى الثمار والبذور لاطراد الحياة ..
لا شك أنه سيرعى الانسانية لتعطى أروع ثمرات الخير والحق وأسمى آيات الحكمة فى سبيل الحضارة البشرية واسعادها .. »

وانه لعجيب - حقا - أن نرى المادة المظلمة قد كشفت عن حقيقتها القناع ، فاذا هى طاقة جبارة مدمرة - أو معمرة - لكل ذرة صغيرة فيها لتلعن أن المادة من طاقة واشعاع وضياء .. ثم ننسى أن قوى العقل ، وعواطف النفس ، وطاقة الروح أجل وأروع ، وأرقى وأبقى فى هذا الوجود !!!

فما المادة بشىء بجانب أشواق الحياة وعبقرية الحياة ، ونور الحياة !!!
وبعد :

فلعل هذا المقياس الذى أسميناه مقياس الفطرة أو مقياس المقاييس - يستمد كيانه من أعماق العقل فهما صحيحا لرسالة الانسانية فى الحياة ومن ثم فهو يستمد كينونته من كل علم مدروس أو معروف .

وهو كما رأينا يعطى منطق الايمان بروح الحياة ، كما يقنع عقل المتشبثين بالمادة فلا يرون نور الحياة وروح الوجود .

واذا أردنا أن نصوغ هذه الحقائق من منطق محمد الكريم ورسالته وسيرته لرأينا أنها لم تتبلور بهذه الصورة وبتلك القوة ، ولم تعرف واقع الحياة ومجربا تالتاريخ الا فى رسالة محمد الكريم وهدية نوره الهادىء

فعلى وفرة ما جاء للانسانية من هداة وأنبياء ، وفلاسفة وحكماء ، ومرشدين وزعماء ، وعلى كثرة ما تركوا من عظات وخطط للاصلاح وكتب

و (يوتوبيا) فاضلة وجمهوريات رشيدة ، وعلى ضخامة ما قاموا من كفاح وما أحدثوا من آثار .. كل أولئك لا يعدو — بحق — سطورا فى رسالة محمد الكريم وشخصيته وهداه ..

ان كل أثر كريم كان لمن سبقه من الكرام لم يتعمق أسرار الوجود ، ولم يترك لسير البشرية دفعة قوية الى الكمال — كما كان لمحمد العظيم ..

وان كل نهضة وتطور كبير فى العالم اليوم آنما هو أثر مباشر أو غير مباشر للحضارة الاسلامية الكبرى التى أسسها وقادها محمد العظيم ، وربى لها بعده أمة — كانت فى حضيض البداوة ، وجهالة الوثنية ، وظلام الحياة ، وقساوة الطباع والاخلاق ثم فاصبحت به وبرسالته أمة تملأ التاريخ — منذ كان هو والى الأبد بتوفيق الله تعالى — لتشيد الحضارة العالمية المشرقة فى كل ميدان للحياة .

(هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . وكفى بالله شهيدا) ويأبى الله ألا أن يتم نوره .

وهذه الفكرة الأخيرة نترك لكتاب الفكر والتاريخ من رجال الاسلام ومن غيرهم يقررونها بأنفسهم فحسبنا أن يعترف بالحق المنصفون من أهل الأديان الأخرى ، وان كانت هذه الحقيقة — فى الواقع — أصبحت فى غنية عن حديث مؤرخ أو ناقد فقد سجلت فى أعماق التاريخ الذى لا يكذب ، حتى لقد قال مستشرق ومؤرخ :

ان محمدا (صلى الله عليه وسلم) — من بين جميع الأنبياء — هو الشخصية التاريخية التى كتب عنها كل صغيرة وكبيرة فى ثقة ويقين كبيرين .

والآن : لنسمع ما يقوله الأستاذ العقاد فى كتابه — عبقرية محمد — ص ٢١٥ « ان التاريخ كله بعد محمد — صلى الله عليه وسلم — متصل به مرهون بعمله ، وان حادثا واحدا من أحداثه الباقية لم يكن ليقع فى الدنيا كما وقع لولا ظهور محمد وظهور عمله .. فلا فتوح الشرق والغرب ، ولا حركات أوروبا ولا الحرب الصليبية ، ولا نهضة العلوم بعد تلك الحروب ، ولا كشف القارة الامريكية ، ولامساجلة الصراع بين الاوروبيين والاسيويين والافريقيين ، ولا الثورة الفرنسية ، وما تلاها من ثورات .. ولا حادثة قومية أو عالمية مما يتخلل ذلك كانت واقعة فى الدنيا كما وقعت لولا ذلك اليتيم الذى ولد فى شبه الجزيرة العربية بعد ٥٧١ سنة من ميلاد السيد المسيح — عليه السلام » .

ولنا من هذا الايجاز تفصيل وتدليل — بتوفيق الله تعالى ان شاء الله — ثم تأتيه نفس الشهادة من كل منصف من غير المسلمين ممن درس التاريخ والنهضات العلمية والرسالة المحمدية الكريمة .

ولنبدأ بشهادة — سير وليم موير — فقد عرف بهجومه على الاسلام ومع ذلك فلنسمعه يقول : « جاء محمد بدين يمتاز باليسر والايجاز ، وكان له من التأثير القوى ما يدهش الألباب ، ولم يحدث منذ عهد المسيحية الاولى

التى نبهت العالم من رقاده ، وشنت حربا شعواء على الوثنية أن رأى العالم مثيلا لهذه اليقظة الروحية وهذا الايمان الذى حمـــل المسلمين على بذل النفس والنفيس فى سبيل دينهم طيبة نفوسهم ٠)

« كانت مكة والجزيرة العربية كلها غارقة فى سبات روحى عميق ٠٠ ولم يكن تأثير المسيحية واليهودية والمذاهب الفلسفية فى العرب الا تأثيرا سطحيا ، وكان العرب يتمرغون فى حمأة الخرافات والقسوة والرذيلة ٠٠ وكانت مكة قبل الهجرة (٢ يوليو عام ٦٢٢ م) قد تردت فى هذه الهوة فما أعظم التغيير الذى طرأ عليها الآن خلال ١٣ قرنا ٠٠ عصابة مؤلفـة من بضع مئات نبذوا عبادة الأوثان ويعبدون الله وحده ٠٠ يعمـــلون الصالحات ٠٠ ويلتزمون حدود العفة والعدل ويعتقدون أن ما فى الكون من نعمة فمن الله ٠٠ وأن محمدا (صلى الله عليه وسلم) هو الذى أحيا مواتهم»

ويقول كارليل : « من المسلم به أن محمدا لم يكتب ولم يقرأ ولم يتلق تعليما مدرسيا لكنه عرف منذ نشأته بالرجولة وسمو التفكير ، واصالة الرأى فى كل ما يقول ويعمل وتاريخ حياته حافل يثبت أنه كان - دائما - رجلا اجتماعيا صديقا صدوقا مخلصا ودودا » ٠

ويقول بوزورت سمث : « هناك ظاهرة فريدة فى التاريخ لمحمد صلى الله عليه وسلم هى أنه تفرد بنشر ثلاث مؤسسات : أمة وامبراطور ودين ، وهو الامى الذى لم يعرف القراءة والكتابة)

والآن : فما رسالة الانسانية فى هذا الوجود من دعوة محمد الكريم وشخصيته ؟٠٠

فالى لقاء قريب أن شاء الله ٠ والسلام عليكم ورحمة الله ٠

حسنى طه شكيبان

بمعلمات راس التين - اسكندرية

———★★★———

واجبنا الدينى فى هـذا العصر

للدكتور محمد جمال الدين الفندى
أستاذ الطبيعة الجوية بجامعة القاهرة

الاسلام هو الدين الوحيد الذى خاطب العقول • وطالب بأعمال الفكر والوصول الى صوفية الايمان بالله تعالى وكتبه ورسله عن طـريق ما أودع فى الكون من آيات بينات تدل على وجوده ، وكامل قدرته ، ثم عن طريق ما جاء فى القرآن من معجزات ، ومعجزات القرآن لغوية وروحية ، وعلمية ومادية •

وهكذا أراد الله أن يجعل معجزة محمد صلوات الله عليه كتابا من الكتب، وليس أخلد على الارض من كتاب يتلى ، وليس أبقى وأفيد للناس من كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا مبدل لكلماته • كتاب فيه غذاء للروح والنفس والعقل والجسد ، يقرأه الناس فى كل مكان وزمان •

وفى أول الامر أعجز القرآن العرب بفصاحته وبلاغته وحكمته وألفاظه ومعانيه•ولكن لا تمضى فترة تتقدم فيها المعرفة ويسير فيها ركب الانسانية نحو درجات أرفع الا وتكشف القرآن عن معجزات جديدة فى كافة الميادين• فهذه ناحية من نواحى القرآن لا تقف عند حد ، وتلك صفة المعجزة الخالدة

وفى هذا العصر ، عصر الاعجاز العلمى ، نرى القـــرآن يصف بعض حقائق الوجود بدقة علمية وسلامة لا مثيل لها ، فكيف يستطيع بشر أن يفعل هذا ؟ وهل كان محمد صلوات الله عليه عالما من علماء الطبيعة ، أو أستاذا من أساتذة الفلك ، أو علما من أعلام التشريح ، ليصف لنا كيف تثير الرياح الغمام فيخرج المطر من خلاله ، وكيف تســبح الكواكب فى أفلاكها فلا تسقط فى خضم الفضاء ، وكيف ان للخلق بدء ونهاية •• الى غير ذلك من تلك الآيات البينات التى تصف لنا ســنة الله فى خلقه ، وأساليبه فى هذا الوجود ، وهى ما يعبر عنها العلم الحديث باسم القوانين الطبيعية ، أو سنن الطبيعة

كل هذا جاء به نبى أمى منذ عشرات مئات السنين،ولا يمكن أن يصدق هذا كله الا اذا كان ما نطق به وحيا من عند الخالق العظيم •

وما دام القرآن يخاطب العقول الواعية ، ويطلب اعمال الفكر فى كل شىء ، وما دام القرآن يحتوى على جانب من الآيات والحقائق العلمية يضربها كمثل لما يطالبنا بالتفكير فيه ، وكمعجزة يقدمها أو يدخرها لعصر الاعجاز العلمى الذى نحن فيه الآن ، فقد وقع علينا نحن معشر العلماء المسلمين حق اظهار هذه الحقيقة للعالم أجمع • وهذه ناحية يجب أن نأخـــذها فى الاعتبار الاول حتى نكون قد أدينا الواجب ، ووفينـــا الدين والامانة التى

خلفها الرسول الكريم وألقاها على عاتقنا فى هذا العصر .

والاسلام الى جانب ذلك يكمل آدمية الانسان ويعطيه الفرصة لذلك . فهو يطلب منا أن يعبد المرء ربه مختارا ، وأن يقاوم شر نفسه مختارا ،وأن يساعد الضعيف مختارا .. الى غير ذلك من أعمال البر والتقوى

وهكذا أفسح الاسلام الطريق ، وفتح الباب على مصراعيه لكل مجتهد. ولا شك فى أن النفس البشرية تنطوى على نوازع الخير والشر . وانه ليس هناك بشر قد تجرد تماما من نوازع الخير والشر . وليس هناك بشر معصوم من الخطأ . ولكن باب التوبة قد فتحه الله دائما . ولكل مجتهد نصيب .. ولكل مجتهد فى سبيل الكمال مقام .

والانسان المنصف لنفسه ولمجتمعه الذى يعيش فيه هو الذى يستطيع أن يجعل هذه النوازع فى حالة من التوازن ، أو يجعل الخير هو الغاية ، وكل انسان بغريزته محب لمساعدة الضعيف ، وقد منحه الدين فرصة اشباع غريزة الخير هذه

والتشريع الاسلامى يكرم وينمى غرائز الخير فى الانسان ويعطيه فرصة توظيف هذه الغرائز . ما بين الغنى والفقير ، والقوى والضعيف ، والحاكم والمحكوم..وانه لمن الخير للمجتمع أن يوجد فيه عشرة يساعدون الضعيف مختارين عن مجتمع يكلف فيه ألف شخص تكليفا بالمساعدة .

ان المجتمع الاول لجدير باحترامه ، وهو يرتقى عبر السنين ، وتنمو فيه عوامل المحبة ، وتظهر معانى الانسانية والحرية والاجتهاد .

أما المجتمع الثانى فهو جسد بلا روح ، لا يلبث أن تتقوض أركانه ، ولا تظهر فيه معانى الانسانية ، ولا تنمو فيه بنور الحرية .

ويدعو الاسلام أيضا الى البر بالجار والتعاطف والتآخى بين أفراد المجتمع

وليس هناك أقوى ولا أبلغ من الاسلام فى هذا الصدد ، ويروى أن جبريل ظل يوصى رسولنا صلوات الله وسلامه عليه بالجار حتى ظن الرسول ان الله سبحانه وتعالى سيورثه

وليس هناك ديمقراطية أبلغ مما فى الاسلام فقد أمر بالشورى وجعل كل فرد مسئولا عن نفسه ، وعن المجتمع الذى يعيش فيه

والحق ان أعرق الدول الاوروبية فى الديمقراطية لم تبلغ للآن ما بلغته الدولة الاسلامية فى عهدها الاول . فقد طلب أبو بكر رضوان الله عليه من الناس فى مؤتمر عام . وقد لمس اخلاصهم وايمانهم أن يبدوا رأيهم فى كل ما يفعل . وأن يردوه اذا حاد عن الطريق المستقيم ولو بحد السيف .

ان مثل هذا المجتمع الحر الفاضل المؤمن هو هو خير ما أخرج للناس

قوم آمنوا بربهم ، ووثقوا بحاكمهم ، وأخلصوا ضمائرهم وشحذوا هممهم وطهروا قلوبهم ، واستهدفوا الانسانية والخير والحق فى حياتهم .

لقد أظهروا اعجاز كتابهم . وذلك واجبنا الدينى فى هذا العصر ..

محمد جمال الدين الفندى
أستاذ الطبيعة الجوية بجامعة القاهرة

غداً... نقرع ابواب الجنة

للأستاذ محمود محمد عماره
المدرس بمعهد دسوق الدينى

ذات يوم .. أوصى الرسول عليه الصلاة والسلام عائشة فقال :
داومى قرع باب الجنة
– بماذا يا رسول الله ؟
– بالجوع !
وها نحن أولاء نأخذ الأهبة .. لنقرع أبواب الجنان !
فمع شروق الغد القريب .. سيبزغ هلال رمضان .. ربيع الارواح .. وبراقها الى عالم الحب والنور .

ومن فوق هذا الكوكب الارضى .. نرصد هلاله فى أفقه العالى .. وعلى هداه سنبدأ مرحلة جديدة وسعيدة .. هى بالنسبة لنا نحن المسلمين عيد .. أى عيد .

عيد .. لا نجدد فيه ملابسنا وأحذيتنا .. وانما نطهر فيه عقولنا من الشك .. وقلوبنا من الحقد .. وأنفسنا من ضلال الهوى .

وسنلتقى جميعا فى سوق كبير وجليل .. رأس مالنا الاخلاص .. وعملتنا فيه التسامح .. ونتعامل فيه مع رب كريم ..

سوق لا تتعاوى فيه الغرائز .. أو تتناوح الاطماع .. ولكنها الروح تشدو بأغنية السلام .. فاذا الحياة جنة مديدة الظل دانية القطوف .

وميلاد القمر يذكرنا بميلاد الانسان .. فالقمر يبدو خيطا رقيقا دقيقا .. ثم يتدرج فى مراحل النمو هلالا .. فبدرا .. فمحاقا . وتلك خلاصة عمر الانسان فى هذه الحياة :

« الله الذى خلقكم من ضعف .. ثم جعل من بعد ضعف قوة .. ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة »

غير أن القمر يبلغ مرحلة المشيب ..
ثم يستأنف الرحلة من جديد ..
أما أنا .. وأنت .. والآخرون .. فعندما تنسخ آية المشيب رونق الشباب .. سنمضى الى هناك .. الى حيث لا يعود الذاهبون !!
والقمر رمز الحب :
فالناس من تحته صرعى الحقد .. يتدافعون بالمناكب . ويتنابزون

بالالقاب .. وهو من فوقهم جميعا يعيش فوق مستوى هذه الاحقاد .

والقمر رمز التواضع :

فهو يغمر بأشعته الرفافة جوانب الارض بما فيها من وهاد ونجاد .. وبحار وأشجار .. ويصيب بها الوزير والحفير .. الغنى والفقير .. فهو معهم جميعا بأشعته .. ولكن المدى بينهم شاسع واسع .. انه متواضع لكن عن رفعه !

وهو أيضا آية الكرم والايثار :

انه يبذل من ذاته فتضىء الحياة .. وينبع الزرع .. ثم لا يسألنا على ذلك جزاء ولا شكورا .

وهكذا نراه فى صمته المطبق يعلمنا خلال الحب والتواضع والايثار .

وتلك هى الصفات التى جاء رمضان ليغرسها فى قلوبنا ..

أليس رمضان ثورة على النفس لابادة رذائلها الاصيلة التى هى كما يقول حاتم الأصم : الكبر والشح والحسد ؟

نعم جاء ليغرس التواضع مكان الكبر .. والايثار بدل الشح .. والحب فى موضع الحسد ..

فعندما يصوم الغنى المتعالى سيمسك عن الطعام .. ويتناول الفطور .. مع الفقير فى لحظة واحدة ..

والساعات التى يقضيها طاويا .. لا دخل له فى تحويرها أو تغييرها .. وفى ظل هذا الاحساس تضيق المسافة بينهما .. ومن شأن هذا أن يهدهد كبرياء الغنى وترفعه .. ويعامل الفقير بدافع من التقدير والاحترام .. وهذا هو التواضع .

والشارع الحكيم طلب منا أن نمسك عن الطعام .. ولكنه أمرنا فى نفس الوقت أن نبذل حق السائل والمحروم .. حتى كان الرسول أجود من الريح المرسلة فى رمضان .. وهذا هو الكرم ..

واذا ما تصدق القادرون على الفقراء .. ستنعطف قلوبهم اليهم .. واذا مشاعر الحب والولاء تفيض بها الصدور . وسيبادلهم الاغنياء نفس العواطف . فيعيش الجميع فى جو من الهناء والصفاء .. وهذا هو الحب .. ومع تلك الفضائل .. ومن قبلها نتعلم الصبر .. انه العصارة الحية .. التى تسرى فى كيانها فتغدو مورقة ناضرة ! ومعنى ذلك :

أن الصوم سيرخى الحبال التى تربطنا بالنفس الامارة بالسوء .. ويفسح الطريق للحب يتمكن فى القلب .. ليصبح قوة دافعة .. تسوقنا الى أعلى .. بعيدا عن جاذبية النفس ..

تماما كالقوة التى تدفع الاقمار الصناعية حتى تخرج من نطاق جاذبية الارض !! ومتى ابتعدنا عن جاذبية النفس .. اقتربنا فى نفس الوقت من الحقيقة العليا ..

واذا نحن فى ظلال الحب نسبح فى ملكوت الله سبحا طويلا .. نستشعر من اللذات ما لو أحسها الملوك .. لقاتلونا عليها بالسيوف !!

وبالحب تتفتح عيون الروح .. التى فقأتها لذات الجسد .. وتصبح تلك العين كالمرآة المجلوة .. تنعكس عليها حقائق الاشياء .. فى غير زيف أو ضلال .. بعيدا عن مقدمات العلماء ونظرياتهم وأخطائهم ..

فنحن بالذوق والشعور .. نصل الى آماد فساح .. لا يصلون اليها بعقولهم أبدا .. لان القلب المتفتح البصير .. الذى تجرد من عرض الحياة .. كالوعاء النظيف يوضع فوق نخلة فرعاء .. انه لا يخطىء .. فهو لا يتلقى الا طهور السماء !! والامام الشافعى رضى الله عنه يبصر شجرة التوت مرة .. فيتفجر قلبه بمعان جليلة :

ان النجار يقف أمامها .. فيتخيل بابا فخما .. أو محراثا قويا !

أما امامنا فيقول :

هذا ورق التوت .. لونه واحد .. وطعمه واحد .. يأكله الدود فيخرج منه الحرير ..

ويأكله النحل فيخرج منه العسل ..

ويأكل منه الشاة أو البقر فتلقيه بعرا أو روثا ..

وتأكله الظباء فيخرج منه المسك ..

وهو شىء واحد .. **(فتبارك الله أحسن الخالقين)**

وفرق هائل بين رجل يستضىء بنور الشمس .. وآخر يستضىء بأنوار القلب !

واذا .. فلنقبل على رمضان فى شوق ويقين .. ومن بحره الكبير نغترف رشفات الحب .. وهو خير علاج لادواء البشرية الضارية الجذور .

وهل كان رمضان بدعا عندما يدعونا أن نحب ؟!!

ان الطبيعة من حولنا تغنى .. وتتعانق .. الزهر يقبل بعضه بعضا .. والجبال تعانق السحب .. والماء يحتضن بعضه البعض .. ونور الشمس يضم الارض ويقبلها .. ولسنا أقل من جماد .. أبى أن يحمل الامانة .. وحملها الانسان فى عناد واصرار !

ان الناس يذهبون الى الصيدليات كل يوم .. لشراء أدوية تبرأ أسقامهم .. وما دروا أن سبب الامراض هو الحسد الكامن فى قلوبهم .. وأن دواءه الوحيد .. أن يتعلموا صناعة الحب .. وفى حرارته تذوب الاوجاع !..

وما أصدق قول ابن العربى :

لقد صار قلبى قابلا كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة وصحف قرآن
أدين بدين الحب انى توجهت ... كتائبه .. فالحب دينى وايمانى

محمود محمد عمارة
المدرس بمعهد دسوق الدينى

بدء الخليقة الروحية

للكاتب العراقي الاستاذ ابراهيم سليمان الكواز

لقد ثبت علميا أن الاثير ماء انحاء القضاء الشاسع ، وأن جميع الكواكب والنجوم التى نشاهدها والتى خفيت عنا يكتنفها ذلك المحيط الهائل بأمواجه الاثيرية الكثيرة التذبذب ، وبواسطته تنتقل القوة الجاذبة للنجم حتى تلتقى بقوى جذب النجوم الاخرى ، فكأن السماء متماسكة متراصة كالبنيان المرصوص بفعل ذلك السيال الاثيرى غير المنظور • وهو سائل يشبه الماء والهواء ، وله قابلية عظمى للولوج فى كافة الاجسام الفيزيقية من مساماتها والاستقرار بداخلها ، بل له قابلية النمو كلما استقر ذلك الجسم فى نموه ، وهو بالنظر لقابلية الولوج لا يفرق بين الجمادات والنباتات والحيوانات • وقد فطن بعض علماء العرب الاقدمين الى وجوده ، واطلعوا على كنهه ، فقد نص الشيخ الفيلسوف الصوفى الكبير محيى الدين بن عربى على دخوله كل المواد الفيزيقية بقوله :

فاعلم أن فى الخبز والماء وجميع المطاعم والمشارب والملابس والمواكب والمجالس والزهر والثمر أرواحا لطيفة غريبة فيها استجابة ودعة لما يراد منها هى سر حياتها – محيى الدين بن عربى للاستاذ طه عبد الباقى سرور ولم يكن هذا فحسب بل ثبت فى الصحيح أن الرسول الاكرم بين فى حديث كون الملك ينفخ الروح فى المضغة وهى الرحم – النزهة البهية فى أحاديث الاربعين النووية للمرحوم القيسى – بعد مرور أربعين يوما حيث تجرى على المضغة المراحل الخلقية المذكورة فى القرآن • ولا يعنى قول ابن عربى – أرواح – وقول الرسول الاكرم – الروح – الا الموجات الاثيرية التى تبدأ فى التمركز مكونة ما يسمى بعد الولادة بالنفس ، أما لدى الجمادات والنباتات والحيوانات فتظل أرواحا جاهلة غير متعلمة ، ولو كانت عقلية الناس فى عصر النبوة أرقى مما عليه لوضح لهم كل ذلك ، ولكنه بينها بصورة موجزة تاركا التوضيح لمن يتلوهم بعد ترقى العلوم والعقول والمدارك •

لقد تطرق القرآن الى ذلك اذ أقسم بالسماء ذات الحبك ، وما هى الا الامواج اللطيفة التى تشابه كثيرا التموجات التى تطرأ على الرمال الساحلية أثر هبوب الرياح أو أثر الجزء الحادث على رمال الشواطىء ، فتشابه موجات الاثير المائلة للفضاء •• ومما يمتاز به الاثير وكأنه صفة مميزة له ، هو تماسك ذراته الاثيرية بعضها الى بعض وتراصها حيث تكون مثيلا لما تلجه من

أشياء . وبعد مرور مدة - حددها الرسول الاكرم بأربعين يوما - على ولوجه يضحى مافى تلك المادة من أثير «مثيلها» ثابتا لايزول ، ولايتفسخ ، ولايلحقه الفناء ، وكأن تلك المواد لم تصنع ولم تهيىء الا لاجتذاب ذاك الجزء من الاثير ليبقى ويخلد ، بينما تتعرض تلك المواد للفناء والهلاك بانتقالها الى حالات أخرى ، أما الاثيريات فلا تشمله صفات المادة المعروفة ، كما أن الاثير ليس القوة الكهربائية اذ أن الاخيرة تسرى خلال أمواجه فى أنحاء الفضاء ...

وثبت كذلك لدى العلماء المحدثين أن ليس بامكان الضوء أن يخترق الفضاء لولا وجوده - بصائر جغرافيا للاستاذ رشيد رشدى العابرى - غير أن أحد منهم - ومنهم ابن عربى - لم يربط وجوده ووجود الانسان والحيوانات الاخرى الى أن ظهر كتاب الكون والقرآن لمحمد على حسن ، الذى ألقى ضوءا ساطعا على كنهه وعاضده علماء الروح فأجلوا غوامضه بعض الجلاء

وفى هذا البحث سنتخذ من القرآن نبراسا يضيىء لنا طريقنا ويساعد العلم الروحى فى كشف غوامض هذه الخليقة التى عجز علماء الحيوان وعلماء الطبيعة أن يكشفوا كنهها ، فوضعوا النظريات التى جاءت مناقضة لا للعقل والمعقولات بل للمنقولات أيضا ، وكأنى بهم عندما صرحوا بأن أصل الانسان قرد ، أرادوا اطفاء النور الذى أشرق من ربوع مكة وعم الخافقين ... بل نراهم وقد طمس عليهم الامر فظنوا أن الانسان نشأ من حشرة .. والى غيرها من النظريات التى يطلقون عليها انها علمية ، ويقررونها ، حالة أن منهم من ينكر الذى علم الانسان ما لم يعلم . وهذه الرابطة من هذا الانسان وخالقه هو العلم الذى انبثق من هضاب مكة بعد أن ركزت علوم الكون فيه، وليس علينا الا أن نغوص فى أعماقه بما وهبنا من عقل نير شحذته القرون الماضية الثلاث عشرة فانجاب عن الفؤاد ماغشيه من جهل وانحسر عن الادراك ما علقه من ركام .

فلقد انقضت السلالة التى منها خلق آدم خليفة لتلك الخليقة التى صارت سلفا بالنسبة له .. فتحولت رممهم الى الاملاح التى سبق أن تكونت أجسامهم منها .. وبالطبع تساقطت الامطار .. ثم تجمعت فى بعض دهان الجبال .. وفسد الماء فيها نتيجة وقوفه وعدم جريانه .. من ذلك الماء الاسن نبت أول جسد مادى هو جسد آدم عليه السلام ، أبو البشرية، وكما حدث ونبت جسده ، حدث جسد حواءه ، ثم تكاثروا بالتناسل .. تكون جسد آدم من أملاح الارض ، أى جمادها حسب قول العلماء ... وهى التى يسميها القرآن الموت ، (خلق الموت) ولا يخفى أن من هذا الموت - الجامد - خلقت النباتات وعلى أثرها تتالت مملكة الحيوان . فكان النبتة تنفلق ، والنوى تنفطر كى تنمو وتتكاثر بعد أن كانت جمادا ، بتوفر

ظروف متعددة ، كالحرارة والماء والظلام ، وبقدرة فالق الحب والنوى .. استحالت الجمادات - وهى أملاح - الى كيفية تؤهلها لتكون بعض بناء هذا الجسد ، كما يحصل تكوين أجساد الفيران فى المزارع ، وقد شاهدها عيانا من أثق به فكان نصفها ترابا ونصفها الآخر ذا حياة .

بعد أن مر على أول جسد جعل خليفة لمن سلفه من الآدميين ، لا لله كما يظن الكثيرون ، فليس لخليفة الله أن يفسد ويسفك الدماء فى الأرض مر مدة من الزمن كان الاثير قد تخلل وتسلل من جميع مسامه وأضحى له بمثابة ماء الورد من الورد أى صورة مماثلة لذلك الجسد ، وصار الجسد ذا روح يحس ويعقل ، وصار ذا حياة بعد أن كان ميتا ، هذا الخلق ، لعمرى ، أصغر بكثير من خلق السموات والأرض - الكواكب السيارة - وعلى ذلك يكون آدم قد سوى جسده ثم نفخ فيه من الأثير الذى هو روح الكون العام استقر بذلك الجسد ، وصارت نفسا منذ تأهلها للتعلم حتى فناء الجسد وبهذا اتضح متى نطلق على الأثير روحا ، ونفسا .. فخلق الانسان ثم بايجاده من سلالة كانت قد سبقته الى الوجود وهذا يتعلق بالجسد ثم جعل ذلك الخلق - وهنا يصح أن نسمى ذلك الأثير ذرة صغيرة من ذرات الكروموسومات - يتغير من حال الى حالات - وصنوها التى تسمى بالنقطة المودعة فى قرار مكين ، هى صلب الرجل ورحم الانثى فباتحاد الكرموسومات وصنوها مع بيضة الانثى تتغير تلك النطف ، وتصبح علقة صغيرة ، وهى قطعة من دم متغير ، فبعد أن يمر على هذا (الجعل) أربعون يوما تصير قطعة من اللحم لا تتجاوز المضغة التى تمضغ بالفم ثم تنقلب هذه الى خيوط كلسية هى التى ستصير عظاما ، لا يلبث اللحم أن يكسوها .. عند ذلك تنشأ خلقا آخر غير الايجاد الأول (من أملاح الأرض والسلالة) ، اذ قد صارت جسدا ذا روح وهو ما عناه الجزء الثانى من قوله تعالى (**خلق الموت والحياة**) أى خلق الجماد - الموت - وعند خلق الأحياء الحية ، وهذا نظير قوله « **وكنتم أمواتا - جمادا** » (**فأحياكم**) وكذا قوله تعالى « **يخرج الحى من الميت** » أى الحياة من الجماد .. وكذلك المعنى فى قوله « **وهو الذى أحياكم** » أى كنتم جمادا فجعلكم أحياء بدخول الروح الى الجسد « **ثم يميتكم** » أى بشل حركة الجسد وانها حياته فيرجع جمادا ليتحلل الى مواد التربة وأملاحها .. الخ .

◎ **المجلة :**

نشرنا هذا البحث للكاتب الفاضل الأستاذ الكواز عملا بحرية النشر . ونحن لا نتقيد بآراء سيادته الاستنتاجية حول بداية الخلق . وحول الروح الانسانية فهى من الأمور الغيبية التى لا مجال للعقل فيها وانما نأخذها من كتابنا المقدس وأقوال نبينا صلوات الله وسلامه عليه والله سبحانه يقول « **ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا** » ، « **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » .

الهيئة الزراعية المصرية

تقاوى القطن

تعلن الهيئة الزراعية المصرية عن وجود تقاوى اكثار لجميع أصناف القطن المنتخبة من حيث السلالات التى تمتاز بوفرة المحصول وارتفاع التصافى . والهيئة تصرف التقاوى للسادة المتعاقدين لزراعات الاكثار لمساحات ٣٠ فدانا فأكثر على أن تكون الكمية المطلوبة مطابقة تماما للكمية المدونة باستمارة الحيازة (٦ اكثار) وأن تكون الدمغة مستوفاة .

وسيقوم مندوبو الهيئة نيابة عن السادة المزارعين فى استلام التقاوى من المحالج وتصديرها بالسيارات الى الجهات المطلوبة اليها وأسعار التقاوى كما هى محددة بالوزارة

الطب النبوى

بقلم الدكتور ابراهيم مصطفى عبده

رئيس المعامل بكلية الصيدلة ـ جامعة القاهرة

الكلام فى هذا المقال الخامس عما أوصى به سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام من الحث على العلاج وبعض طرقه وبعض الادوية التى كان ينصح باستعمالها كما ورد فى صحيح السنة الشريفة ·

الحث على العلاج

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (**ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء**) حتى لا يتوانى مريض عن مداواة نفسه مهما اشتد به المرض أو أزمن · وعليه أن يأخذ بالاسباب محسنا الظن بالمسبب الحقيقى سبحانه وتعالى · وان الذى خلقه وسواه · لقادر على كشف ما به ابتلاه ·

ويعزى عدم شفاء بعض المرضى الى واحد أو أكثر من الامور الآتية :

أولا ـ ازمان المرض باهمال علاجه فى بدء ظهوره ·

ثانيا ـ التعاون فى اتباع ارشادات الطبيب وخصوصا فى الغذاء ومواعيد الدواء ·

ثانيا ـ التهاون فى اتباع ارشادات الطبيب وخصوصا فى الغذاء

رابعا ـ دنو الأجل وقرب انتهاء العمر قال تعالى : « **فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** » ·

وما أحسن قول ابن الرومى :

والناس يلحون الطبيب وانما
غلط الطبيب اصابة الاقدار

***

وحديث مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**لكل** داء دواء · فاذا أصيب دواء الداء برأ باذن الله تعالى) ·

أصيب أى تحققت معرفته فى الكيفية والكمية . ويؤخذ من الحديث أن التداوى لا ينافى التوكل . وانما يعتقد الانسان أن الدواء لا يشفى بذاته بل باذن الله وتقديره .

***

بعض طرق العلاج

عن البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء) .

والاطباء يسلمون بصحة ذلك لان أغلب أنواع الحميات يداوى صاحبها بسقى الماء البارد لما يحدثه من الانعاش وادرار البول وغسل الانسجة مما يتجمع فيها من الافرازات السامة . وتغسل أطراف المحموم بالماء وتعمل له المكمدات على جبهته أو حمام للجسم كله بالماء البارد .

***

العلاج بالادوية

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يداوى نفسه ويأمر بذلك لمن أصابه مرض من أهله أو أصحابه . وقد كان غالب أدويته مفردة لا مركبة .

ولا ينتفع بطب النبوة الا من تلقاه بقبول حسن واعتقد الشفاء به . ولكن الناس فى هذه الايام أعرضوا عن طب النبوة اعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن لا بقصور فى الدواء ولكن لخبث الطباع ولهو القلوب عما ينفعها بانشغالها وتعلقها بأمور الدنيا .

المداواة بالعسل

عن أبى سعيد رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله ان أخى يشتكى بطنه » فقال : **(اسقه عسلا) ثم** أتاه الثانية فقال : **(اسقه عسلا)** ثم أتاه الثالثة فقال : **(اسقه عسلا)** ثم أتاه فقال : « فعلت يارسول الله وما زال » فقال : **(صدق الله وكذب بطن أخيك . اسقه عسلا)** فسقاه فبرأ .

فداوى صلى الله عليه وسلم الاسهال بالمسهل لطرد الاخلاط الفاسدة من المعدة والامعاء حسب أصول الطب . أليس الزخار (الدوسنتاريا) يعالج بمزيج كبريتات الصوديوم المسهل ؟

ونلاحظ أنه لما تكرر استعمال الدواء قاوم الداء فأزاله . واعتبار كميات الادوية وكيفياتها من أكبر قواعد الطب .

والعسل المقصود فى الحديث هو عسل النحل الذى يجمعه من الازهار ثم يضعه فى الخلايا التى يبنيها ٠

واذا ضربنا صفحا عن المواد المختلطة بالعسل كالشمع والمواد التى تكسبه الرائحة والمواد الملونة لكان العسل محلولا لانواع من السكر أشهرها سكر العنب (الجلوكوز) وسكر القصب وسكر المن ٠ والموجود منها بمقدار أكبر فى العسل هو سكر العنب الذى يحترق فى الدم كباقى أنواع السكر الى حامض كربونيك وماء ٠ والكميات الكبيرة منه تزيد ضغط الدم والبول ٠ وفى هذه الحالة ينفصل جزء من الجلوكوز على حالته بدون تغيير ٠

أما الآية الكريمة التى يعنيها صدر الحديث بقوله (صدق الله) فهى قوله تعالى : **(يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ٠ فيه شفاء للناس)** ٠

العسل يقوى البدن ويحفظ الصحة ويسمن ويطرد البلغم لانه يطهر ما بالرئة من أوساخ ٠ واذا أخذ منه مقدار أوقيتين أحدث اسهالا خفيفا وغسل البطن فأخرج ما فى المعدة والامعاء من أذى ٠ وقيل أنه نافع للفالج وكل الامراض الحادثة من الرطوبة لانه يولد فى الجسم حرارة ٠

ويستعمل العسل سواغا فى تحضير بعض الادوية مثل معسل بصل العنصل المفيد للسعال ٠ وأيضا لتحلية الطعم وحفظ بعض المحضرات من الفساد كالغراغر ٠

ويستعمل العسل مسواغا فى تحضير بعض الأدوية مثل معسل بصل الغدد خصوصا فى احتقان اللوز ٠

حديث الحجامة والعسل والكى

فى صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(ان كان فى شىء من أدويتكم خير ففى شرطة محجم أو شربة من عسل أو لذعة بنار ٠ وما أحب ان اكتوى)** ٠ وفى رواية البخارى : **(أو لذعة بنار توافق الداء)** ٠

وهذا الحديث موافق لاصول الطب لان الامراض اما ن تكون دموية أو غير دموية ٠ فان كانت من القسم الاول فشفاؤها اخراج الدم بالحجامة من جزء مناسب من الجسم مثل ابتداء الاصابة بالفالج وضغط الدم نتيجة امتلاء الشرايين به ٠ وما ينتج عنه من الاحتقان فى المخ وغيره ٠

وان كان المرض غير دموى فعلاجه يكون باعطاء مسهل مثل العسل ٠

وذكر الكى فى آخر الحديث لانه لا يستعمل الا عند عدم نفع الادوية المشروبة ونحوها فآخر الطب الكى لما يحصل فيه من الالم ٠

« ابراهيم مصطفى عبده »

(للبحث بقية)

التصوف
وعصر الذرة والفضاء

للاستاذ محمد رشاد عطيه

فى عصر الذرة والفضاء ، حيث كاد الانسان أن يسيطر على الطبيعة ويصبح سيدها ، وفى زمن الشك واللا مبالاه حيث تعتبر الجريمة الناجحة الموفقة فضيلة ، فقد الانسان نفسه ، ولم يستطع حتى الآن أن يستردها ويكتشفها حتى يتسنى له ملك زمامها ، وهى التى وصف جهادها الصوفى الاول محمد صلى الله عليه وسلم بأنه الجهاد الاكبر ٠

فى هذه اللحظات الحاسمة من تاريخ البشرية ، حيث نشهد تطورا هائلا خاطفا ، يحلو لبعض الناس أن ينادوا بالتحلل أو بالتحرر ـ كما يدعون ـ من الدين والاخلاق ، باسم المدنية والتطور ، تلك الكلمات البراقة المفلسة التى استخدمها الغرب فى استغلال الشعوب حتى الآن ٠

أقول لهؤلاء أننا فى حاجة الآن الى التصوف ومبادئه عن ذى قبل ، وستزداد هذه الحاجة كلما ارتفع التقدم وسار قدما الى الامام ، ألم يسمع السادة بأن كثيرا من المصانع فى الدول المتقدمة صناعيا الآن تدار ادارة ذاتية سواء لبعض الآلات أو المصانع كاملة ٠٠ كما أن التقدم فى فرع العلوم الالكترونية والتحكم من بعد قد قرب امكانية ادارة عدد كبير من المصانع بالانوتومية ومن مكان واحد بواسطة التحكم من بعد وباستخدام الاجهزة الالكترونية ٠ ومن هنا ستتوفر للانسان كل سبل الراحة حتى من العمل ، وفجأة سيجد الانسان نفسه تائها فى فراغ رهيب سيجد نفسه فى عصر تقدم فيه العلم على حساب القيم التى نضبت ٠ ثم سيكون الصراع بعد ذلك صراع الفكر ، ستختلط المذاهب والمبادىء ٠ وهنا تنبع حاجتنا الى الفكر الصوفى الأصيل الذى تحطمت على أسواره حتى الآن كل سهام النقد من مبادىء ومذاهب ونظريات حاولت أن تنال منه وأن تحط من قيمته ٠

اننا فى عصر العلم سنكون فى حاجة الى الاخلاق ، الى اعادة مبادئنا الاخلاقية الاصيلة الى النفوس ، وهى بلا شك أخلاق عالميـــة وضعت لكل زمان ومكان ، والصوفية بلا جدال هم الجديرون بحمل هذه الرسالة وأدائها على أكمل وجه لأنهم يتخلقون بأخلاق الصوفى الاول محمد صلى الله عليه وســـلم الذى قال عنه تعالى (**وانك لعلى خلق عظيم**) ويعملون على نشر رسالته بكل ما أوتوا من قوة متخذين من الوصية الجامعة لمحاسن الأخلاق التى أوصى بها النبى (صلى الله عليه وسلم) معاذا بقوله (يامعاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيـــانة ، وحفظ الجوار ورحمه اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الايمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح ، واياك أن تسب حليما أو تكذب صادقا أو تطمع آثما أو توصى اماما عادلا ، أو تفسد أرضا ، أوصيك باتقـــاء الله عند كل حجر وشجر ومدر ، وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر ، والعلانية بالعلانية، بذلك أدب الله عباده ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب) .

علاوة على أن الصوفية كما وصفهم الامام السهروردى صاحب عوارف المعارف بأنهم راضوا نفوسهم بالمكابدات والمجـــاهدات حتى أجابت الى تحسين الأخلاق وكم من نفس تجيب الى الأعمال ولا تجيب الى الاخلاق ، فنفوس العباد أجابت الى الاعمال وجمحت عن الاخـــلاق ونفوس الزهاد أجابت الى بعض الأخلاق دون البعض ونفوس الصوفية أجابت الى الاخلاق الكريمة كلها .

وعصرنا فى حاجة الى الحب ، الذى مزيده العملة التى تقوم عليها معاملات الأفراد والجماعات والدول ، لأن به ستختفى مثالب العصر من استغلال واستبداد وحقد وكراهية ، وسيكون البلسم الشافى لأمراض الانسان ، وآفات المجتمعات ، والصوفية ومبادئهم هم أقدر الناس على حمـــل تلك الرسالة النبيلة فقد ترنم بها روادهم الاوائل ، أمثـال رابعـة العدوية ، ومعروف الكرخى ، والمحاسبى ، والبسطامى ويحيى بن معـــاذ الرازى ، والحلاج ، وابن الفارض ، وابن عربى ..

وبهذا وبعد نهضتنا العلمية والصناعية والفكرية ، سيكون للتصوف دور هام فى اعادة مجد أمتنا العربية مهد الأديان ، والرسالات ، والأنبياء، والقادة ، وكعبة العالم الآن ، وقبلة كل أمة ترنو الى السلام ، الى الاخاء الى الحرية ، الى الحب .

محمد رشاد عطيه

الصوفية في رمضان

للأستاذ السيد محمد عيد الشافعي

الصوم لغة هو الامساك . واصطلاحا ، كف النفس عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر الى وقت الغروب بغية العبادة ، وقد فرضه الحق تبارك وتعالى على الامة المحمدية كما فرضه على الامم السابقة من قبل لعلهم يتقون . قال تعالى : « **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** » ، ذلك لأن الانسان من حيث طبيعته وتكوينه فيه قوة ملكية هى جند الرحمن تدعوه الى الخير وفعل الطاعات ، وقوة شيطانية هى جند الشيطان تدعوه الى الشر وفعل المعصية . وقد أشار اليهما قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان فى القلب لمتين لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليحمد الله عز وجل ، ولمة من الشيطان ايعاد بالفقر وأمر بالفحشاء فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم » . ثم تلا قول الله تعالى « **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا** » فان غلبت القوة الملكية على القوة الشيطانية كان الانسان ملاكا فى أفعاله وان غلبت القوة الشيطانية على القوة الملكية فيه كان الانسان شيطانا فى أفعاله . وقد أراد الله تبارك وتعالى الخير لعباده فشرع لهم الصوم لينصر جنده ويهدى عباده ويكون جند الله هم الغالبون ، وقد أشار الى ذلك قول رسولنا صلى الله عليه وسلم « ان الشيطان يجرى فى ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « اذا جاء شهر رمضان فتحت فيه أبواب الجنة وغلقت فيه أبواب النار وصفدت الشياطين » وأبواب الجنة هى طاعة الحق وأبواب النار هى معاصيه سبحانه . وأمام هذه الحقيقة الواضحة انقسم الناس فى الفهم والعمل بها الى ثلاثة أقسام : قسم وقف مع ظاهر التكليف الالهى بالصوم ولم يفقه الحكمة منه وهم عامة المؤمنين ، فأجاعوا أنفسهم وتركوا لذة الوقاع ثم أطلقوا لأنفسهم العنان فيما دون ذلك من الامور . وقد أشار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ، وكم من قائم ليس له من قيامه الا التعب والنصب» . وقسم فهم الغاية من مشروعية الصوم وان الله عز وجل لا يريد أن يجيع عباده وانما يريد منهم أن يتقوه . كما قال صلوات الله عليه : « انما الصوم جنة ـ أى رقاية ـ فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل (انى صائم انى صائم) فاستلزم ذلك منهم أن يحفظوا الرأس وما وعى والبطن وما حوى ولكن . لايتم

الا بستة أمور · الامر الاول : كف البصر عن النظر الى ما حرم الله لقوله تعالى : « **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم** » الامر الثانى : كف السمع عن الاصغاء الى كل ما حرم قوله · ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم · الامر الثالث : كف اللسان عن النطق بما حرم الله فقد قال صلى الله عليه وسلم لسيدنا معاذ بن جبل حين سأله قائلا : اتحاسب بما نقول يارسول الله ؟ فقال صلوات الله عليه : ثكلتك أمك يابن جبل وهل يكب الناس فى النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم » · الامر الرابع أن لا يكون افطاره على طعام فيه شبهة من حرام لقوله تعالى : « **كلوا من طيبات ما رزقناكم** » · الامر الخامس : تقليل الطعام وقت الافطار ما أمكن حتى لا تنتفى الحكمة من الصوم وهى اضعاف القوة الشيطانية وتقوية القوة الملكية فيه · الامر السادس : أن يكون القلب منه معلقا بين الخوف والرجاء حين افطاره ياترى ؟ أيقبل صومه فيكون من الفائزين أم يرد عليه فيكون من الخاسرين ·· وقد ورد فى ذلك أن الحسن بن الحسن البصرى رضى الله عنه مر بقوم يضحكون ويلعبون فى سهر رمضان فقال لهم : ان الله عز وجل قد جعل شهر رمضان مضمار الخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف قوم فخسروا فالعجب كل العجب ممن يلعب فى يوم فاز فيه السابقون وخسر فيه المبطلون ، أما والله لو كشف الغطاء لانشغل المحسن باحسانه والمسىء باسائته ··

أما القسم الثالث وهم الصوفية حقا رضوان الله عليهم فقد شاركوا القسمين فيما قاموا به من خير فتركوا الطعام والشراب وما تهوى الانفس وحفظوا جوارحهم بما حفظ الله فلم يصرفوا جارحة من جوارحهم فى غير ما خلقت من أجله فهان عليهم كل شىء فى سبيله فكانوا أجود الناس فى شهر الجود وكانوا خير الناس فى شهر الخير والبركة ومع ذلك لا يشهدون لأنفسهم فضلا بل يستحيون من الله تعالى أن يخطر ببالهم سواه حتى قال بعضهم : من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة ، ولا عجب فان حسنات الابرار سيئات المقربين ، وقال عمر ابن الفارض رضى الله عنه وهو من تلاشت ارادته فى ارادة سيده - حبا - :

ولو خطرت لى فى سواك ارادة على خاطرى يوما قضيت بردتى

أى ردتى عن شريعة احب لك والفناء فيك دون غيرك · فأورثهم ذلك التجرد عن غير الله القرب من الله ففرحوا بقربه ولقائه وحق لهم تذوق قول رسول الله : « للصائم فرحتان ، فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه » · وقد تم اللقاء حين القرب منه ، وكان القرب منه هو عين الجزاء كما قال تعالى فى الحديث القدسى : « كل عمل يعمله ابن آدم فهو لنفسه ·· الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به » فسبحان من جاد بقربه جزاء للصائمين عمن سواه ·

« **محمد عبد الشافى** »

طوبى للمخلصين

للأستاذ عبد المنصف محمود عبد الفتاح
واعظ مركز شبين القناطر

الاخلاص : سر من أسرار الحضرة الربانية ، ونور من أنوار العظمة الالهية ، لا يوهب الا للنفوس الطيبة الزكية ، ولا يحل الا فى القلوب الطاهرة النقية ، ولا يسعد به الا الذين أحبهم ورضى عنهم ربهم . قال شيخ المتصوفة الجنيد : « الاخلاص سر بين الله وبين العبد ، لا يعلمه ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله » .

والارجاس . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد أفلح من أخلص قلبه للايمان ، وجعل قلبه سليما ، ولسانه صادقا ، ونفسه مطمئنة ، وخليقته مستقيمة » . وهو أكبر دليل على حسن النية ، وسلامة الطوية ، وطيب النفس ، وصفاء الروح ، وكمال الايمان ، وقوة اليقين ، وكفى به فضلا : أنه يرفع صاحبه من حضيض البؤس والشقاء ، الى مدارج السعادة والهناء ، ويزج به يوم الدين فى صفوف الاحبة المتقين ، ويكسبه اذ ذاك شرفا وتكريما . قال الله تعالى : « **الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما** » . **وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، فارقها والله عنه راض »** .

الاخلاص خشية الله ومراقبته فى السر والعلن ، واستواء ما ظهر من عبادة المرء وما بطن روى ابن ماجه فى صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان العبد اذا صلى فى العلانية فأحسن ، وصلى فى السر فأحسن قال الله تعالى : هذا عبدى حقا » ، وقال الشاعر الحكيم :

عليك بالصبر والاخلاص فى العمل ولازم الخير فى حل ومرتحل

وانه لن ينقص من أجر العاملين ، ظهور أعمالهم ، أو ثناء الناس عليهم ما داموا جاعلين الاخلاص شعارهم ، فذلك من باب تعجيل المسرة لهم فى دنياهم عن أبى صالح رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله انى أعمل العمل فأسره ، فيطلع عليه فيعجبنى ذلك . ألى فيه أجر ؟

قال : « لك فيه أجر انسر وأجر العلانية » . وروى مسلم فى صحيحه عن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ، ويحمده الناس عليه ؟ قال : تلك عاجل بشرى المؤمن » .

الاخلاص يزج بصاحبه فى ميدان الاعمال الخيرة ، ويحمله على تقديم الاحسان وبذل الفدى بدافع نفسه الطاهرة ، وبوازع من ضميره الحر ، ابتغاء وجه الله الكريم ، ورغبة فى ثوابه العظيم .. غير ناظر الى سمعة ، ولا متطلع الى شهرة . : الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن سأله قائلا : «ما النجاة غدا يارسول الله ؟ فقال : ألا تخادع الله ، فقال : وكيف أخادع الله ؟ فقال أن تعمل بما أمرك الله ورسوله وتريد به غير وجه الله » ..

واذن فلا غرابة أن . الرياء من ديدن أهل النفاق قال الله تعالى : « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أدنى الرياء شرك ، وأحب العبيد الى الله الاتقياء الاخفياء » وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل المسجد فرآى معاذ بن جبل يبكى عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما يبكيك ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان اليسير من الرياء شرك، وان الله يحب الاتقياء الاخفياء : الذين ان غابوا لم يفتقدوا ، وان حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، ينجون من كل غبراء مظلمة » . وعن على كرم الله وجهه أنه قال : « للمرائى أربع علامات : يكسل اذا كان وحده .. وينشط اذا كان مع الناس ، ويزيد فى العمل اذا أثنى عليه ، وينقص اذا ذم به » .

واذا كان الاخلاص خير سبيل لخلاص صاحبه ونجاته من عذاب الآخرة ، حيث أنه يحول بينه وبين نيران جهنم ، فكذلك هو فى الدنيا أعظم وسيلة للحيلولة بينه وبين نيران الفتن . عن ثوبان رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تنجلى عنهم كل فتنة ظلماء » .

وانه ما سادت أمه ، ولا ارتقت ذروة المجد والشرف ، وتخلصت من ربقة العبودية ونير الاستعمار . وتقدمت الى الامام بخطوات واسعة ، الا بهمة المخلصين من أبنائها : العاملين على اعلاء كلمتها ، ورفعة شأنها . ومن كلمة للسيد/ أنور السادات السكرتير العام للمؤتمر الاسلامى : « ان كسبنا جولاتنا ضد الاستعمار (انما كان) بفضل الاخلاص والوطنية ، والاخلاص لا يشترى ، والوطنية ليست سلعة للفصال » .

وكفى المخلصين شرفا وفضلا ، أنهم بمنجاة من كيد الشيطان وغوايته « **ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين** » وقال تعالى حكاية عن ابليس : « **قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين** » فقد استثنى ممن يتعرض الشيطان لاغوائهم ، وصدهم عن سبيل الهدى : الذين أخلصوا دينهم لله ، ولم يقصدوا بعملهم أحدا سواه .

فواجب على العاقل : أن يخلص لله فى جميع أعماله ، ويراقبه فى كل أحواله ، وأن يربأ بنفسه عن الرياء ، فهو شر داء ، وألا يبالى بمدح المادحين .. واطراء المحبين ، ولا يتأثر بقدح القادحين ، وذم المبغضين: مادام سائرا فى طريقه على النهج القويم ، وسالكا الصراط المستقيم ، آتيا بما كلف به من فرائض وسنن ، مخلصا لله رب العالمين : الذى لا يضيع عنده مثقال ذرة من العمل الصالح ، وسيجزى الله العاملين جنات النعيم .

عبد المنصف محمود عبد الفتاح
واعظ مركز شبين القناطر

مولد الامام الشافعى

احتفل فى مساء يوم الخميس الاسبق بالليلة الختامية لمولد القطب الكبير والفقيه العظيم ، والصوفى الجليل الامام الشافعى ، وقد طاف سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية بعد الزيادة على حلقات الذكر الصوفية موجها ومرشدا . وبصحبته السيد محمود يس شيخ الطريقة الرفاعية والاستاذ طه عبد الباقى سرور أعاد الله هذه الذكرى الكريمة على الامة العربية والعالم الاسلامى بالخير والسعادة .

ندوة الإسلام والتصوف

المعانى الصوفية فى شهر رمضان

اجتمعت ندوة الاسلام والتصوف الشهرية فى الساعة السادسة من مساء يوم ٧ شعبان سنة ١٣٧٨ هـ الموافق ١٥ فبراير سنة ١٩٥٩ م وحضرها من أعضاء الندوة الاساتذة : السيد محمدمحمود علوان والدكتور محمد مصطفى حلمى ، والدكتور محمد غلاب ، والدكتور مصطفى كمال وصفى ، وعبد الرحمن سلامة العطار ، وعبد الحميد محمود المسلوت والسيد محمد حسن شمس الدين ، ومحمود الكوالى ، وعلى عويضه ، ومالك عثمان خضر ، وطه عبد الباقى سرور .

وافتتح الندوة سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية مرحبا بالسادة المجتمعين ، ثم عرض الاستاذ طه عبد الباقى سرور، موضوع الندوة وهو :

المعانى الصوفية فى شهر رمضان

● **السيد الاستاذ محمد محمود علوان :**

الهدف من كل رسالة سماوية هو ايجاد صلة دائمة بين الانسان وربه . ومن هذه الصلة تنبثق كل معانى الخير والفضل والكمال فى الحياة .

وهذه الصلة هى مجال التصوف الاسلامى ومحوره الاكبر الذى دارت حوله معارفه الايمانية ، والهاماته الباطنية ومناهجه فى التربية والسلوك . وآدابه فى العبادة والطاعة والمعاملة وتعمقه فى المقامات والاحوال وما يترقرق حولهما من معانى الانس والقرب والمشاهدة والمراقبة .

وشهر رمضان عندى يعطى صورة كاملة لهذه الصلة الوثيقة بين العبد ومولاه . كما يعطى صورة مبينة للحياة الصوفية وللمعانى الروحية العالية التى اختص بها التصوف الاسلامى فهو شهر كرم الله وفضله واصطفاه لقرآنه وأنواره « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

وعظمة هذا الشهر مستمدة من اقترانه بهذا العطاء الربانى العظيم وهذه المنحة الالهية الخالدة . وهذا الكتاب المحكم المقدس الذى جاء تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة للعالمين ومن هنا جعله الله جل شأنه شهرا خالصا له . جعله تجربة للحياة الصوفية السامية وعنوانا للنهج الصوفى فى السلوك وفى العبادة .

ومن أراد ان يعرف أو يتذوق الحياة الصوفية بجلالها وكمالها وايمانها فليعيش بقلبه وبوجدانه وبعواطفه فى حقائق هذا الشهر وفى معانى هذا الشهر .

انه الشهر الذى يكون فيه المسلم أقرب ما يكون الى الله، وأقرب ما يكون الى حياة الملأ الاعلى .

امساك للجوارح عن الطعام والشراب . هذه هى الصورة الظاهرة . أما الحقيقة اما الباطن فهو كف الجوارح كافة عن كل ما يتعلق بالدنيا ثم مراقبة مؤمنة يقظة لخلجات النفس . ونبضات القلب وهمسات الوجدان وخائنة الاعين ان تنحرف أو تميل الى شهوة .

انه طهارة كاملة ظاهرة وباطنة ثم عبادة وذكر وتسبيح ونجوى ومحبة ورأفة وجود وسماحة وبر وتعاون وتسابق نحو الخير أيا كانت صورة وسبله .

وتلك الحياة الروحية الخالصة فى رمضان هى الحياة الدائمة وهى حياة رجال التصوف الاسلامى فى السلوك وفى العبادة وفى المناهج .

فالصوفى فى رمضان ، فى حياة روحية لا تنقطع ، ومن ظن أن هذا الاستغراق التعبدى والتصعيد الروحى يدفع بصاحبه الى الضعف أو الهوان أو العزلة فقد جهل رسالة الاسلام وحقيقة التصوف .

● الدكتور محمد غلاب

ان رمضان بما فيه من صيام مخلص ، وعبادة صافية وطاعة راضية هو نور صمدانى ينبجس فى البيئات الاسلامية فيبدد فيها حنادس الاثم ، وظلمات السيئات ، وهو رسول ربانى ينزل فى الامة الاسلامية فى كل عام فيحيى مقدساتها ويعيد ذكرى عهودها الاولى التى كان المسلمون فيها سادة الدنيا ، لا بالقوة كما يتفيهق المتفيهقون ولكن بالنور والفضيلة والاخلاص ، وهو ذلك العملاق السماوى الذى ينزل من السماء فى كل عام فيتحدى جيوش الشر ، وينازل كتائب الاثم ، ويظل بها حتى يمزقها شزر مذر ، فيكون بمثابة هدنة بين الانسانية الكاملة والغرائز التى تتحكم فى الانسانية الناقصة

وهذه الهدنة هى التى يحس فيها الصائم بأنه قد قطع عن الدنيا واتصل بربه وبربه وحده ، وينزع من قلبه كل أهمية لمن عدا الله ، وما عدا الله فاذا انتهى شهر رمضان بقيت هذه الآثار فى المسلمين وظلت تعاونهم فى حياتهم الدنيا ، لا بالقوة كما يتفيهق المتفيهقون ولكن بالنور والفضيلة والاخلاص ، وتغلبت عوامل الحياة العملية وبدأت تبدو ظهر العملاق من جديد فقضى عليها القضاء الاخير ، وبهذا تحل الحياة الروحانية محل الحياة المادية التى

جدت بعد شهر رمضان ، واذ ذاك يتحكم المسلم فى أهوائه ويسود غرائزه ، ويسيطر على رغباته فيسود كل مظاهر الحياة بل يخضعها اخضـــاعا تاما وهكذا دواليك قبل ان يتقلص سلطان رمضان ،يعود من جديد ، فتعـود مياه الايمان الصحيح الى مجاريها ، ويحس المسلم بانه بايمانه سيد العالم ، وباسلامه حاكم الدنيا ، وبعبوديته الخالصة ملك الوجود ، لان العبـودية نهاية فى السمو ، وهل حياة الصوفى المسلم شىء آخر غير هذه المعـانى الروحانية ، ان حياة الصوفى المسلم كما قرر سماحة السيد شيخ المشايخ هى رمضانيات دائمة متكررة متوالية لا يفصل بينها شوال ولا شعبان فلو اننا أتبعنا المنهج الصوفى لما مرت بنا هذه الفترة التى ذكرت ان فيها يضعف سلطان الحياة الروحية قليلا وتتغلب عليه مادية الحياة المادية ، ولما حلت بنا هذه الفترة مطلقا ولعشنا كما أراد الله لنا بشهر رمضان ولتحقق الهـدف الالهى الذى من أجله شرع رمضان واذن فالوسيلة المثلى التى يتحقق بهـا الهدف الالهى ، هى المنهج الصوفى

أليس هذا المنهج الصوفى كما يفهمه السطحيون ، هو عبارة عن العزلة والوحدة والدروشة وعدم معرفة الحياة ، أو الانانية المتركزة فى العـــزلة والانفراد ، كلا فمن وصل بنفسه الى هذه العزلة واكتفى بها فقد فشل فى حياته الصوفية .

وانما الدرجة العليا السامية التىليس بعدها درجات فىالحياةالصوفية ، فهى الايثار بأكمل معانيه ، والايثار هنا هو الفدائية للمجتمع والتضحية فى سبيل تعليم الناس أو تعليم بيئة الصوفى التى يعيش فيها وارشادها وقيادتها وانارتها ومساعدتها فى حمل أعبائها والاخذ بنصيب من أثقالها ولقد روى عن بعض الصوفية انهم كانوا يعنون بتربيـــة أولاد زملائهم ومعارفهم وأصدقائهم بعد وفاتهم وتسديد ديونهم عنهم بعد ان قاموا بمعونتهم فى حياتهم بما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

فمن فهم الصوفية على أساسها الصحيح وحقيقتها الواقعية ، رأى وتحقق له أنها الحياة العملية المستقيمة الطاهرة التى لا خمول فيها ولا أنانية ولا ضعف ولا ذهاب بالامة الى الوراء كما يتصور الجاهلون وهذه هى الغـــاية العليا التى رمت اليها السماء من تشريع صيام رمضان ، وليست هـــذه الغاية هى التجويع والتعطيش كلا فهذه أشياء لا تليق بحكيم من البشر فضلا عن أحكم الحكماء وأعظمهم بل الذى لا نســـبة بين حكمة البشر وبين حكمته التى لا تتناها .

فيجب ان يفهم المسلمون رمضان على حقيقته ، ويجب أن يرفعوه عن مسألة الجوع والعطش فقط ، الى رتبة صيانة النفس عن الآثا م وطهـــر

القلب وتبل المعاملة والنشاط فى الاخذ بيد الامة الى الامام ، فهذا وحده هو الغاية السماوية لا أكثر ولا أقل .

● **الدكتور محمد مصطفى حلمى :**

أظن بعد هذا الحديث المستفيض من كل من سماحة السيد محمد علوان والدكتور محمد غلاب . وهذه الابانة عن المعانى الروحيـــة التى تتجلى فى شهر رمضان ليس لى الا ان أتحدث عن ناحية خاصة من نواحى الصوم فى هذا الشهر المبارك الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهـدى والفرقان .

ولعلنا اذا ربطنا بين نزول القرآن فى هذا الشهر العظيم من ناحية ، وبين ما يأخذ به الصائم من كبح جماح نفسه ، وكشف حجاب حسه ، وتصفية قلبه ، والاقبال بكنه همته ، على ربه ، من ناحية أخرى ، وبين المعـــانى الروحية التى ينبغى ان تشرق أنوارها فى قلب الصائم من ناحية ثالثة ، أظن اننا لو ربطنا بين هذا كله ، لاستطعنا ان نصل الى المعنى الذى ينبغى أن يكونه الصوم ، والاخلاق التى ينبغى ان يتحلى بها الصائم ، حتى تصفو نفسه ، وتصبح روحا خالصة مستعدة لان تلقى ربها وتقبل عليه اقبالا قوامه الحب الصادق ، والود الخالص ، مما لا يقصد به الا وجه الله ، لا كما يزعم أكثر الصائمين انهم انما يصومون ابتغاء لوجه الجنة ، واتقاء لعذاب النار ، فهؤلاء انما يصومون صوما تقليديا أو صوما آليا ان صح هـــذا التعبير .

الصوم عندهم ، ليس الا عملا من الاعمال التى تؤدى اداء ليس فيه اثر للروح ، ولهذا تراهم يقفون فى صومهم عند حـــد الامســـاك عن الطعام والشراب ، وعن كل ما لذ وطاب ، من المتع التى تتصل بالجوارع وفاتهم ان وراء هذه الجوارح ، ملكات أخرى أحق بأن يعنى بها ويلتفت اليها ، وبأن يعمل الصوم عمله فيها ويؤتى أكله منها ، أذواقا مشرقة ، واشراقات متألقة ، ولطائف سامية ومعارف عالية ، وأعنى بهـــذا الذى ينبغى ان يعنى به ، الجوانح وليس من شك فى أن أهم جانحة من هذه الجـــوانح ، هو القلب فالصائم على الحقيقة ليس هو الذى يمسك بطنه عن الطعام والشراب ، وليس هو الذى يسمك نفسه عن الشهوة والهوى ، وليس هو الذى يمسك يده عن الضرر والاذى ، وانما هو هذا كله ، وشىء آخر فوق هذا كله ، وأصفى من هذا كله ، هو هذا الذى يمسك قلبه فيكفه ويصده عن كل شىء غير الله ، فهو من هذه الناحية يأخذ قلبه بالتصفية والتنقية فلا يبقى فيه على شائبة ، ويخلى بينه وبين ربه فلا يقبل بقلبه الا عليه ولا يستشعر فى قلبه الا حبا له وهو بهذا الاستشعار وبذلك الاقبال ، انما يحب فى الله كل الناس ويقبل

بقلبه على جميع البشر ، بل وعلى غير البشر من المخلوقات ، قلبه قد امتلأ باسمى المعانى التى ينطوى عليها حبه لله ، فلا أثره ولا أذى ، ولا شهوة ولا هوى ، وانما هى أنوار قد أشرقت فى قلبه مما رسخ فى هـــذا القلب من مثل ، وهى من قبل ومن بعد أنوار قد انبثقت من أعماق هذا القلب الذى ولى وجهه لله ، واعرض عن كل ما سوى الله ، ولهذا نرى الصوفية المتحققين قد جعلوا للصـــوم مكانة ممتازة بين رياضاتهم ومجـــاهداتهم ،حتى انهم ولا يصومون فى رمضان فحسب ، وانما هم يصومون أياما أخـرى فى غير هذا الشهر وهى أيام قد تبلغ الاربعين عند بعضهم ولهذا تعرف بالاربعينيات وقد تزيد عن هذا وقد تنقص على حسب تفـــاوتهم فى مراتب الاحتمال والاقبال على الرياضة والمجاهدة .

وليست المسألة عندهم مسألة صيام بالمعنى الذى يفهمه العـامة ، وهو مجرد الجوع والعطش ، فهذا الضرب من الصيام الافطار عندهم خير منه ، وانما هو صيام على الحقيقة بالمعانى الروحية التى أشرت اليها آنفا .

والى جانب هذا كله ، فان الصوفية يؤيدون صومهم أو يغذونه بعبارة أدق بتلاوة القرآن وترديد الاوراد واستكناه المعانى التى تنطوى عليها آيات القرآن الكريم وعبارات الحـــديث الشريف مما يمس القلوب ويوغل فى بواطنها بحيث يجعل من أصحاب هذه القلوب أهلا لتلقى الفيوضات الالهية .

ويحضرنى فى هذا المعنى بيت لسلطان العاشقين وأمام المحبين عمر بن الفارض يصور لنا فيه كيف كان يقضى شهر رمضان وكيف كان حبه الالهى متصلا برياضته ومجاهدته لنفسه ابان هذا الشهر العظيم وهذا البيت هو الذى يخاطب فيه ابن الفارض وبه يقدر ما يصور حبه وذلك اذ يقول :

فى هواكم رمضـان عمره ينقضى ما بين احياء وطى

فهو هنا يظهرنا على انه فى طريق حبه ومن أجل حبه قد صرف شـهر رمضان بين شيئين أحدهما الامساك عن الطعام والشراب أثناء النهار وهو الذى عبر عنه بلفظه « الطى » والآخر هو تلاوته للقرآن وامعانه فى تذوقها أثناء الليل وهو الذى عبر عنه « بالاحياء » .

فاذا أردنا ان نكون فى صومنا متخلقين بالخلق الكريم ، ومتحققين على الصراط المستقيم ، فلنكن أولا وقبل كل شىء ذائقين ، ولكى نكون ذائقين فلنأخذ أنفسنا بفهم المعانى الروحية التى ينطوى عليها المعنى الحقيقى للصوم فلا نقصره على الامساك عن الماديات والمحسوسات وانما ينبغى ان نتجاوز به حدود الحس الى ما وراءها من المعانى الروحية التى هى قوت القلوب ، وسبيل هذه القلوب الى الاتصال بعلام الغيوب .

● الاستاذ عبد الحميد محمود المسلوت

الواقع ان المعانى الدقيقة التى تناولها سماحة السيد علوان والدكتور محمد غلاب ، والدكتور محمد مصطفى حلمى لم تترك زيادة لمستزيد فهم قد كشفوا كشفا واضحا عن مدى الصلة الوثيقة بين الصيام والصوفية وأنا أعتقد ان الصيام بما يرمى اليه من سلوك ، وما يجب فيه من فضائل ،انما هو دعوة قوية بليغة الى الصوفية . هو دعوة للذين لم يتذوقوا حلاوتها ولم يستشعروا جمالها ولذتها الى ان يصفوا ويعرفوا .. فالصيام يدعو النفس الانسانية الى ان تتجرد من شهواتها العارمة ، ونزواتها الآثمة ، حتى يصبح العبد بما اكتسب من خلق ، ربانيا يكاد يقول للشيء كن فيكون .

الصيام ثورة على شهوات الجسد ، وتجرد عن مطالب الدنيا ، وقضاء على نزوات الهوى ، ودعوة للانسان الى ان يكف شهوته ويعف نفسه ويتجرد من كل ما يظلم القلب ويدنس النفس .

والصوفية تربية روحية عالية تحاول أن تجعل الانسان بارا ، سمحا ، جوادا يستشعر فى قلبه الرحمة والعاطفة الحانية ومن أجل ذلك تلتقى الصوفية التقاء قويا مع ما يدعو اليه الصيام من الآداب العالية والاخلاق الرفيعة .

● الدكتور مصطفى كمال وصفى :

لا شك أن الصيام من أهم العبادات وأعظم القربات الى الله لذلك يقول الرسول عليه ازكى الصلاة والسلام فى الحديث القدسى على لسان رب العزة — كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به » .

والصيام كسائر العبادات له ظاهر وباطن ، فاما الظاهر فيتناوله عامة الناس ، فمنهم من يلتمس الاعذار للافطار منتحلين قول الله « **وعلى الذين يطيقونه فدية** » ويظنون أن فى ذلك رخصة لهم يفطرون اذا شاءوا ؟ مع ان معنى الطاقة هى غاية الاحتمال ولذلك فالطاقة هى بداية عدم الطاقة ، واذن فيكون معنى الآية وعلى الذين لا يطيقونه . ومن الناس من يكتفى بالامساك عن الطعام والشراب دون الاخذ بالمعانى السامية التى يظهر بها الصيام وهؤلاء يصدق عليهم قول الرسول عليه الصلاة والسلام « كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش » .

أما المتذوقون المقبلون فهؤلاء يكون صيامهم خلوة صوفية بأدق المعانى ورياضة من أعنف الرياضات بما فيه من ضبط النفس ومن الطى والاحياء واقامة التراويح حتى يبلغ ذلك ذروته فى العشر الاواخر حيث يؤثر الاعتكاف واحياء الليل واخفى فيهن ليلة القدر لتكون حافزا على العمل وفى ذلك كما قال الاستاذ عبد الحميد يتذوقون حلاوة المناهج الصوفية والرياضات التى توجبها الطرق الصوفية .

● الأستاذ عبد الرحمن سلامة العطار

ملاك الامر كله عند الصوفية فى السيطرة على النفس وترويضها على المكاره ، وكبح جماحها عن الشهوات وتذليلها للخالق وافناء ذاتها فى ذاته، والصوم هو السبيل القويم لتحقيق هذه الغايات السامية ، والصوم عند المتصوفة على ثلاثة ألوان : صوم العامة وهو ما يعرفه الفقهاء بأنه امساك عن الطعام والشراب والرغبات الجنسية من طلوع الفجر الى غروب الشمس

واللون الثانى من الصوم عند المتصوفة : صوم الخاصة وهو الى جانب المعنى السابق امساك الجوارح كلها عن المحرمات فصوم اللسان مثلا : ان يمسك عن الخوض فى أعراض الناس والنيل من أقدارهم « **أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا** » **و هل يكب الناس فى النار على وجوههم الا حصائد السنتهم** » وصوم العين أن تمسك عن النظرة الخائنة فالله يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، والنظرة المحرمة سهم مسموم من سهام ابليس ،وصوم الاذن ألا تصيخ الى منكر وألا تستمع الى هجر من القول وزور (**ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**) وصوم اليد أن تمتنع عن البطش بالآخرين وألا تلحق بهم الاذى فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . وهكذا باقى الجوارح .

اللون الثالث من الصوم : هو صوم خاصة الخاصة ، وهو كما يعبر عنه الامام الغزالى : صوم القلب عن الدنية ، وعن النوازع الدنيوية ، والكف عما سوى الله بالكلية ، ومن الثابت المعقول بداهة ان شهوة البطن سبب الاسباب فى الشرور والآثام التى تحيط بالعالم وتكاد تأتى على بنيانه من القواعد فقديما أخرجت آدم وحواء من الجنة ، ونهيا عن الاكل من الشجرة فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، ثم هبطا من دار القرار والامن والدعة والنعيم والبقاء ، الى دار الخوف والفزع والقلق والصخب والفناء ، ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه) فان كان فاعلا فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه)

ويقول فى حديث آخر : « لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء » .

وفى حديث قدسى : ان الله يباهى بعبده الجائع ملائكته فيقول : اشهدوا ياملائكتى انى أعطيته الطعام والشراب فتركهما وانصرف الى ، لأبدلنه ايمانا يجد حلاوته فى قلبه »

وشهوة البطن تستتبع شهوة الفرج وذلك لان البطن اذ أخذ رغباته من طيب الطعام ولذيذه ، كثرت أسعاره الحرارية واشتدت حيويته فيحاول

التنفيس عن حيويته باللقاء الجنسى وهذه تستتبع المال والجاه والسلطان ، ومن هنا ينشأ التطاحن على أسباب الحياة وتكثر الجرائم والشرور والآفات » **واذا اردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا** » .

فضلا عن ان الصوم يربى فى النفس مقام المراقبة لله فليس على الصائم رقيب سوى خشيته لله ولهذا يسند الله الصوم الى نفسه ويكل جزاءه اليه اعتزازا بالصائم - كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به يدع طعامه وشرابه من أجلى » .

على ان الصوم يربى فى النفوس أيضا التراحم والتعاطف والتواد فان النفس اذا أمضها الجوع ونهكتها المسغبة أحست باحساس الجائعين المعوزين فاشرأبت اليهم تمسح دموعهم ، وتضفى عليهم مما أفاء الله عليها من فضل ومن هنا ينشأ مجتمع متكافل رشيد ، ثم ان الصوم يدفع النفس أيضا الى الكرم والسخاء والسماح ، ولهذا يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حينما يلقاه جبريل فيدارسه القرآن فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة وقصارى القول: ان الصوفى يجد فى صوم رمضان ما يجده رجل أضلته صحراء الحياة واشتد عليه وقدها وانه لكذلك تنفحه العناية الالهية فى شدة الهاجرة شجرة وارفة الظلال ، باسقة الاغصان ، ناضجة الثمر ذات قطوف فآوى الى ظلها ليتفيء فيه ، وركن اليها فوجد فيها راحته وسعادته وطمأنينته وقطف من ثمارها ما شاء لما شاء .

● **سماحة السيد محمد محمود علوان :**

هناك موضوع أحب أن أشير اليه ، وهو انه قد اقترنت أروع الانتصارات فى التاريخ الاسلامى بشهر رمضان ، لقد انتصر المسلمون فى رمضان طوال تاريخهم الحربى فانهم نزلوا الى الميدان بسلاحين حاكمين ، سلاح الحديد وبأسه الشديد ، وسلاح الروح والايمان وهو أشد بأسا وأعظم أثرا .

لم يهزم المسلمون قط فى شهر رمضان لانه شهر طاعة وعبادة وايمان ، وأخلاق وذكر ، ومراقبة وخشوع ، وقنوت ، وتعاون على البر والتقوى ، وتلك صفات منتصرة لانها صفات يحبها الله ويرضى عنها . يوم بدر . اليوم الفاصل بين الاسلام والوثنية العالمية كان فى رمضان .

وفتح مكة ، اليوم الخالد الذى وصفه القرآن الكريم بالفتح والنصر ، كان من أيام رمضان .

وموقعة القادسية الموقعة التى دمر المسلمون فيها امبراطورية كسرى كانت فى رمضان .

وموقعة حطين أعظم موقعة فى تاريخ الحروب الصليبية يوم قذف صلاح الدين بالصليبيين إلى البحر كانت فى رمضان ٠

ومن هناك ندرك بالبرهان أن العبادة والطاعة ، أن الحياة الروحية العالية ان التصوف قوة ايجابية حاسمة منتصرة ٠

وفوق هذا وذاك ، فقد اختص هذا الشهر الروحى، بأعظم ليلة فى الوجود ليلة القدر ليلة الكمال الانسانى والسمو النفسى ٠

الليلة المباركة التى يكافىء الله فيها عباده على تنسكهم وزهدهم وعبادتهم وصومهم وجهادهم وارتفاعهم فوق الشهوات وفوق الماديات ٠

انها ليلة صوفية خالصة وان ما فيها من فيوضات ومنح وبركات ، لمن العطايا والهبات ، التى يتذوقها رجال التصوف وينعمون بها فى لياليهم المشرقة التى تكاد أن تكون ليالى قدر مستمرة ٠

الندوة القادمـــة

انتهت الندوة فى تمام الساعة العاشرة على أن تعقد الندوة فى تمـــام الساعة التاسعة من مساء يوم الخميس ١٠ رمضان عام ١٣٧٨ هـ الموافق ١٩ مارس عام ١٩٥٩ باذن الله ٠

السيد ميرغنى الادريسى

عاد الى القاهرة من مشتاه « بدراو » السيد الجليل الاستاذ ميرغنى الادريسى شيخ الطريقة الاحمدية الادريسية ٠ وقد توافـــد على داره أصدقاؤه ومحبوه من رجال العروبة والتصوف للتحية والتهنئة ٠

زيوت
التعاون
حازت ثقة
الجميع
Heavy Duty
أجود ما وصل إليه
العلم
فهو زيت كامل
يفي بكل حاجيات
السيارات الحديثة
زيوت التعاون دائما في الطليعة للخدمة الشاقة
الجمعية التعاونية للبترول

الطريقة السلامية الشاذلية

بقلم الاستاذ : طه محمد محمد مشينة التاجورى
شيخ الطريقة

مؤسس الطريقة السلامية هو عبد السلام بن سليم الاسمر .. لقب بالاسمر لرؤيا صالحة مبشرة بالخير رأتها له أمه بعد ولادته بأربعين يوما

ونشر دعوته من بعده أحد أحفاده والدى المرحوم السيد محمد محمد مشينة التاجورى .. ثم حملت اللواء من بعده ، ونسجت على منواله ، واقتفيت أثره .. وها أنذا أدعو أبناء طريقتنا الى العمل بما كان عليه سلفنا الصالح .. عليه الرضوان .. ورائدنا جميعا وقدوتنا فى ذلك حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم ..

وطريقتنا ولله الحمد ـ كغيرها من الطرق ـ تدعو الى التعاطف والتآزر .. ومبادؤها تسمو بالمريد درجات ودرجات نحو الحب الالهى الخالص .. وفقا للمبادىء السامية التى وضعها مؤسسها جدى عبد السلام الاسمر وهى طريقة خاصة به من بين سائر طرق أهل الله .. أقام دعائمها على الشريعة المطهرة السمحاء ..

كان جدنا عبد السلام ـ رضوان الله عليه ـ مالكى المذهب ، اشعرى العقيدة .. ولد فى الثانى عشر من ربيع الاول سنة ٨٨٠ هـ .. وحفظ القرآن وهو ابن سنين سبع .. رعاه عمه أبو العباس بعد موت أبيه وهو لا يزال فى الثالثة من عمره .. وأخذ عبد السلام عن عمه هذا ـ وكان أول

الهيئة الزراعية المصرية

توكيلات المبيدات ومعدات
الرش لخريجى الزراعة

تفتتح الهيئة الزراعية المصرية فروعا فى الأقاليم . لتوزيع المبيدات الحشرية والفطرية ومعدات الرش وقطع الغيار لكى تكون فى متناول يد الزراع مع مدهم بالارشادات التى يحتاجون اليها .

والهيئة تنظر فى الطلبات المقدمة اليها لتوكيلات هذه الفروع وتتيح الفرصة لخريجى الكليات والمعاهد الزراعية للقيام بهذا العمل لما فيه من خدمة للزراعة . فمن يرغب منهم فليتقدم بطلبه الى ادارة الهيئة ص.ب ٦٣ مصر .

« دار القاهرة للطباعة »
٢٦ شارع منصور ت : ٣٠٨٠١ ـ ٣٠٨٢٤